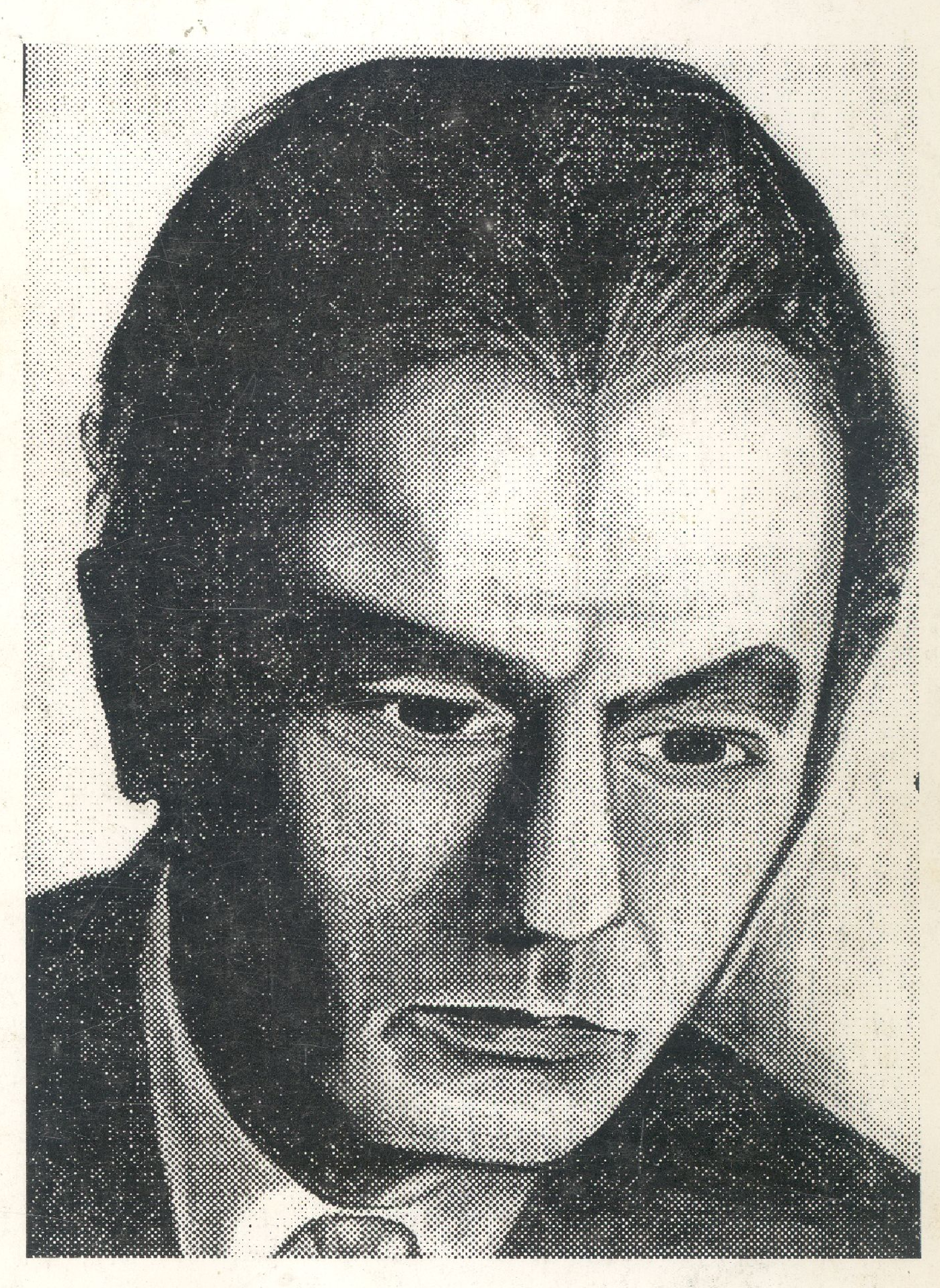
عبد العليم عيسى

أوراق

شاعر من الزمن الجميل



أحمد ماضي

اهداءات ٢٠٠٢

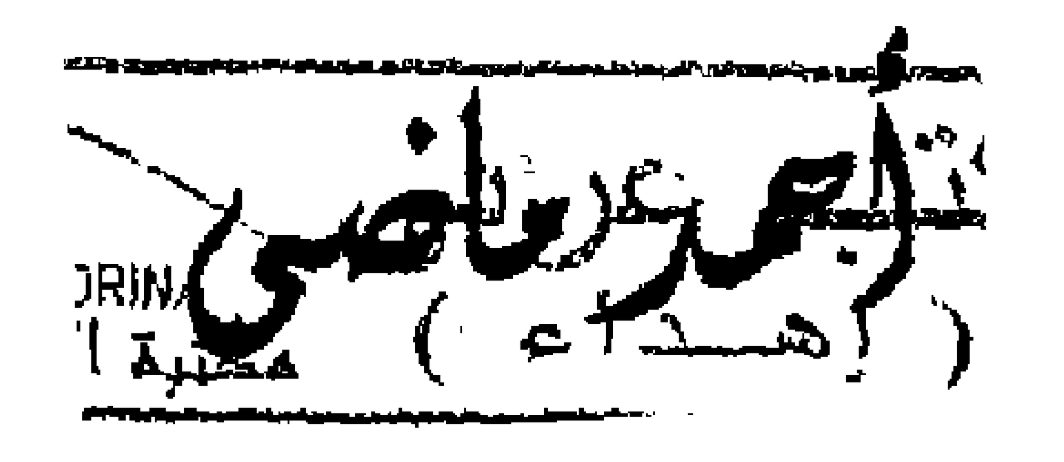
أ.د/اسماعيل عبد الفتاح

القاهرة

عبد العليم عيسى

أوراق

شاعر من الزمن الجميل



صورة الغلاف: (بورتريه بالفحم)

بريشة الطالب أحمد ماضي ثانية علمي ثالث
مدرسة كفر الشيخ الثانوية بنين عام ١٩٦٢م

كلمة شكر

الأخ الصديق الشاعر / صبري أبو علم

الشاعرة الدكتورة /حورية البدري

الأستاذ /حسام عبد القادر مقبل

الآنسة / غادة الشافعي

من المؤكد إن الليالي الثلاث الطويلة المضغوطة بالسهر و الإجهاد كانت مليئة بالحب و السعادة لشعوركم بالفخر و أنتم تنجزون. معي هذا الكتاب ليكون بين أيدي محبي الشاعر عبد العليم عيسى بقرية كفر المياسرة فى الاحتفال بتأبينه فى ذكراه الثانية فلكم مني كل الشكر ،،،،

أحمد ماضي

(١)
القصـــاصـــات .. الشـــظايـــا

إذا كان قد قدر لي أن تجتمع عندي كل ــ أو أغلب ــ أوراقه ... فلا غرو في ذلك و أنا المحب الذي عاش على حبه . . . و ظل يتنسم أنفاسه الطاهرة حـــق النفس الأخير . .

قمنا بإنقاذ هذه الأوراق من البعثرة و الهلاك بعد أن داهـــم الغوغـــاء شـــقته البسيطة الثرية . . إذ لم يكن يعنيهم من الشقة غير الجدران و البلاط و المساحة يستولون عليها طمعا فى إعادة تأجيرها أو تمليكها لمستأجر أو مـــالك جديـــد يدفع لهم ما يطلبون لتزداد أموالهم التي هي أصلا ليست بحاجة إلى هذه الزيـــادة .. لم تكن تهمهم ذكرياته و ذاكرته . . لم تكن تفيدهم أوراقه المتراكمة بعنايـــة على مدار خمسين عاما . . و تلال كتبه التي أوصى بإهدائها إلى مكتبة قريتــــه العامرة كفر المياسرة.

لقد كانوا كالصخر الجملود الذي هوى بقسوة و غلظة على إطار رقيق مـــــن البللور المُذهَّب. . إطار بداخله صورة رجل عاش للفكر . . . و بـالفكر . . . عاش للشعر و بالشعر . . ولكن ماذا يفيدهم مـــــن الفكـــر ؟ . . . و مـــاذا سيجنون من الشعر ؟ . . أنه درب بعيد عن دروبهم . . فهم لا يســـلكون إلا دروب المال . . حتى عندما امتدت تجارتهم إلى (امتلاك) حزب من أحـــزاب

مصر المصطنعة لم تنتشر لأي حزب رائحة فحة تقلب البطون كرها و غثياناً مثل حزبهم. . حتى صار مرفوضا على المستوى الرسمي و الشعبي . .

لم أتعجب لذلك و أنا أرى انهيار صرح مزيف . . فهذا رصيد الزيف. . لم أستغرب فضيحتهم فقد سعوا إلى المال و النفوذ عن طريق السياسة . . أو دلفوا إلى السياسة بأموالهم تُسَيِّرهم قلوب خاوية من حب الناس و من حب الخير . . و لأنهم كذلك . . و لأن قدر الشاعر عبد العليم عيسى جعله منذ عام ٥٧ أحد قاطني إحدى عماراتهم . . فقد تبعثرت أوراقه على أيديهم بعد وفاته . . بعدما تأملوا نتائج موته (كحالة) مُرْبحة بالنسبة لهم . . فالرجل لم يترك وارثا لشقته . . إذن فهم الورثة . . و لم يترك مدافعا عن حقوقه إلا من بنت عمه (ابتسام) التي انهارت تحت معاولهم . . و تراجعت أمام عضلات (فتواتهم). . و ما كان لها إلا أن تجرى ذات ظهيرة فى شارع بور سعيد لاهثة باحثة عن سيارة تنقل حاجيات عمها الشاعر الذي ألقوا بكتبه و ملابسه مهددين بتسليمها إلى بنك ناصر . . إن لم ترفعها الآن!! و فورا ! !

لقد نجحوا فى بعثرة الأشياء . .و نجحنا فى إعادة جمعها . . فما لديهم من توجه حقير . . يختلف عما لدينا من توجه نضير . . لقد اكتشفنا أنه كأي شاعر أو مفكر لا يجد ثروته إلا فى أوراقه . . حتى لو لم يقرأها أحد . . و عبد العليم عيسى رحل لم يحرص فى حياته على جمع المال و الحرص عليه وإلا فقد

كان من الممكن أن يكون البنكنوت جزءاً كبيراً من (الأوراق) التي تـــركها .
و لكنـــه مع هذا كـــان يحرص عـــلى الاحتفـــاظ بكل قصـــاصة ورق . .
و كل خطاب يصله . . و كل كلمة في صحيفة أثارت إعجابه . . لـــقد كان
يتعمد قصها و الاحتفاظ بها بين دفّتيّ كتاب . . و لنا أن نتساءل لمـــاذا كـــان
يفعل ذلك ؟ . . و هل كان واثقـــا أنه سيـــأتي من بعده من ســـيحفظ هـــذه
(الآثار) الساذجة بمقياس النـــاس العـــاديين . . أو بالأحرى (بمقيـــــــاس
هذا العصر) . . هل كان في ظنه إن هذه(الآثار) ســـتعني أحد مـــــا . . في
يوم ما . . قلت لنفسي إنه التـــاريخ . . فهل لنا أن نأخذه إلا مـــن الأوراق ؟
. . إن كان تاريخـــه هو . . أو تـــاريخ عصره . . تاريخ جيلـــه ... تـــاريخ
صـــحبته .. فـــهيا بنا إلى (حفنة) من تلـــــك الأوراق نتأملـــها و نعيـــد
تسجيلها هنا .. و لا مانع من التعليق عليها . . أو عرض صورة ضوئية منها ..
لعلنا نجد في ذكراه ما تتآلف به نفوسنا و نحن نخطو معـــه إلى المـــاضي .. إلى
الزمن الجميل ..أجل .. لعلنا نجد في ذلك لمسة حب و لمسة صـــدق و بســـمة
إعجاب ..وكلها أشياء رحنا نفتقدها بين الأحياء ..فلعلنا نجدها بـــين أوراق
شاعر قد مات و في قلبه ألم ..و في حلقه غصة . . و لعلي أقول ذلك مـــبرراً
إقدامي على هذا العرض الشيق لأوراق شاعرنا ..و الحقيقة أنني بحاجة إلى هـــذا
التبرير ليجد كل منا سببا أو قيمة لسر احتفاظنا نحن الشعراء بأوراقنا (وهـــم)
بعد موتنا .. (الناس) ربما لم يقرءوا ما كتبناه في حياتنا ..وربما يكـــون(غـــير
الشعراء)بحاجة إلى هذا التبرير لسر احتفاظهم بأوراقـــهم أيـــاً كـــان أهميتـــها
...ولكنها الذكرى ... التي نقدسها في جانب من نفوسنا دون أن نرى ..

فلماذا هذا الرجل ؟

لماذا هذا الشاعر ؟

لماذا هذا الإنسان ؟

أقصد . . لماذا أحببته ؟

و لماذا أحببناه جميعا ؟

و لماذا هناك ذلك الإصرار النابع من الحب و العرفان .. أن نحتفل بـه كل عام ؟

لا تجهد نفسك في الإجابة ..

فالسوال يحمل إجابته ..

أحببناه لأنه : ... رجل

و..شاعر

و..إنسان

- ما أكثر الرجال ..و ما أكثر الشعراء ..و ما أكثر البشر ..
- لكنه (الرجل..الرجل)و (الشاعر..الشاعر) و(الإنسان الإنسان)أي انـه يحمل المواصفات الحقيقية للرجل و الشاعر و الإنسان ..

في الأسبوع الماضي و بعد حديث طويل مع الدكتور عبد الهادي شعبان (أحـد تلاميذه المخلصين) بشأن الترتيب لهذه الاحتفالية ..طالت بنا المهاتفة ونحـن نحاول انتقاء التكريم الأفضل ..و كلما طال الحديث تلمست إلي أي حد يضعه

هؤلاء الشباب فى نياط القلب .. والى أي حد هم فخورين به ..ويودون لـو يختطفون من السماء نجماً يشاركهم ليلة يزجون فيها حبهم له (تعبير جاء على لسان أحدهم) و لأني أقترب بشكل ما من عالم الأعمال وأرى أحيانا مدى غرق بعض الورثة فى مُلك أبيهم ..وأرى كم يمتد تناطحهم امتداداً كان يطغى على (مجرد) أن يتذكروا (مورثهم) الراحل .. إذ تلهّوا فى أمواله التي مصيرها الزوال .. بل ربما نال من أحدهم أو إحداهن سُبّة أو لعنه فى لحظة تأفف ..

كان لابد أن تلطشني هذه المفارقة و أنا أرى تلاميذ عبد العليم يتسابقون لأحياء ذكراه ..مما جعلني أقول بل أؤكد لتلميذه المخلص الدكتور عبد الهادي شعبان و تلميذه المهذب الإذاعي إسماعيل فهمي . قلت لهما . إن عبد العليم أنجب الكثير من الأولاد المخلصين .. الذين آلو على أنفسهم إلا أن يمجدوه و يذْكروه و يتذكروه و يُذَكرون الناس به فى يوم وفاته ..وهذا هو الإرث الحقيقي .. و الأوصياء المخلصين .. إرث يحمل القيمة و المبدأ و التوجه النقي لتمجيد الحب و الشعر و الفن و الإنسانية فى شخص فقيدنا الغالي .. و ما أحلى أن نتوجه إلى الناس بهذه القيم التي عز أن نراها أو نسمعها أو نسمع عنها ..فى وقت لا يحيطنا فيه إلا التكالب على المال و الشهرة الزائفة و المناصب التي تعطى لُمشتريها و لا يعطيها من يَشْتريها .. و الكراسي الموسيقية التي لا يدور حولها راقصا عابثا إلا كل ذو نهم وريبة .. لقد هززت رأسي أسفا و أنا أقلب أوراق المرحوم لأحد كلمة فى خطاب رسمي متبادل بين وزارة الثقافة وبنك ناصر بشأن مكتبة عبد العليم .. حيث كان يجب أن تؤول

هذه المكتبة الحائرة إلى إدارة ما فى بنك ناصر .. هل تدرون مـــا اســـم هـــذه الإدارة .. اسمها (إدارة التركات الشاغرة) .. لقد تخيلت شاعرنا الرقيق و قـــد طُرِح أمامه هذا المسمى لتلك الإدارة فى حياته ..تخيلته و قد اهتز جسمه بـالألم وهو يرى بعين ـــ التخيل ـــ أيضا إلى أي حد يمكن أن تكـــــون (تركتـــه) مصيرها غرف هذه الإدارة ..و هذا ما حدث فعلاً..

لقد بيع أثاثه فى مزاد علني لصالح فقراء بنك ناصر .. و كادوا أن يبيعوا الكتـب لولا تلك الحرب الضاربة التي شنتها ضدهم السيدة ابتسام عيسى ابنـــة عمـــه المخلصة التي كانت قد وهبت كل حياتها لتصل بها حياته فى سنواته الأخيرة .

إن هذه الكتب الحائرة التي كانت مرتبه و منسقة فى مكتبته تحولـــت إلى مجموعة صناديق ورقية مليئة بها (كراتين) تأخذ مكانها فى إحدى غـــرف شقة امتلكها انتظاراً للإفراج عنها حتى تحتل مكانها المأمول فى المكتبة التي تحمل اسمه . . ذلك المبنى المزمع أقامته يحمل اسمه فى كفر المياسرة .
وبما إن الكتب الحائرة وجدت لها مستقرا موقتاً إلا أن المبنى الحائر لم يجد لـــه مستقرا . . فى دهاليز وزارة الثقافة ..

إن الكتب تِلك المستقرة توجد بين صفحاتها قصاصات يحتفظ بها بشكل عفوي .. و من المؤكد انه كان لا يعود إليها إلا صدفة .. بل ربمـــا لا يراهـــا إلا إذا سقطت من بين ثنايا الكتاب و هو يسحبه بعد حين طويل أو قصير و هذا مـــا

حدث مع ابن عمه الأستاذ رمزى الذي راق له إن يسحب مقدمة بن خلدون من أحد الرفوف وما إن سحب الكتاب حتى سقط منه مظروف به خطاب .. و ما إن قرأ الخطاب حتى أصابه الذهول إنه خطاب من تلميذه (كاتب هذه السطور) مؤرخ فى نوفمبر ١٩٦٣ و كنا فى أواخر عام ١٩٩٧أى أن عمر الخطاب أربعة و ثلاثين عاما . . يقول له فيه .. انه يحبه و يتمنى أن يظل بجانبه حتى آخر الحياة (! !) .. لقد التفت رمزى إلى يمينه ليجد باقة ورد أخذت مكانها بينهم منذ ساعات كان قد أرسلها هذا التلميذ حبا و امتنانا بعد أن رافق أستاذه فى مغادرة مستشفى مصر الدولي قبل ساعات من إرسال الباقة ..

فهتف رمزى لتلميذ عمه راويا له قصة الخطاب و متعجبا لهذه المفارقة ان يسقط الخطاب بين يديه بما فيه من حب بُثَّ منذ زمن طويل بجانب باقة الورد التي تحمل نفس الحب و أكثر .

لابد للحب الصادق من علامات و شواهدَ قدَرِيَّة تؤكده و ترسخه و تمجده و تعلن للمحبين أنهم على حق ..لقد جمعنا قصاصات كثيرة . و اكتشفنا أنه حتى نتمكن من جمعها بالكامل فنحن بحاجة إلى المرور بكل الكتب لنقتطف ما بداخلها ..لقد كانت تأخذني التمتمة و الهمهمة و أنا أتعجب لذلك الرجل الذي لا يفرط فى قصاصة . ولا تطاوعه نفسه أن يلقى فى سلة المهملات بورقة بها حكمة يحبها أو قول مأثور أو كلمة من صديق أو كلمة عن صديق .

إذا كنت يا أستاذي تعمد إلى ظهر ورقة من "روشتات " الأطباء فتسجل عليها بعض الأبيات التي أبت ألا أن تداهمك و أنت في التاكسي ،فأنت تفعل ذلـــك أيضا على ظهر بطاقة من بطاقات الأصدقاء .. أو على حافة جريدة بيـــدك.. ولعل حركة الإبداع تتوقف عند هذا الحد.. فتلقي بقصاصاتك هنا أو هنـــاك أملاً أن ينثال الوحي ببقية ما عنـــده .. و ربمـــا جـــاء الوحـــي و لم تجـــد قصاصتك..وربما وجدت غيرها فزينتها ببعض ما جـــاءك ..و ألقيتـــها هـــي الأخرى هنا أو هناك .. و لعلك لم تحرص على ترتيب و تنسيق و تبيض هـــذه القصاصات.. و لكن ما حرصت عليه ألا تهدر هذه القصاصات أو تتخلـــص منها .. لقد أصبحت هي الآن بعض أهم آثارك .. أو لعلها بعض نفسك .. أو شظاياك.. إذا تتبعناها و قلبناها و تأملناها ربما نفوز بشيء منك.. شئ يقـــول لنا من أنت .. و لعلك أحيانا تعـــمد فتنـــتزع قصاصة ما مـــن جريدة مـــا .. و تحتفظ بها بين قصاصاتك.. تماماً مثلما يعمد أي رجـــل عـــادى إلى نـــزع قصاصة لا تزيد عن حجم علبة الكبريت و يثنيها بعناية في حافظته .. لا شـــئ إلا لأنها تحمل نعيا لصديق أو قريب يحبه .. و لو سألته لماذا نزعها .. أو مـــاذا سيفعل بها بعد أن يأخذه النسيان.. هو و المتوفى .. فيجيبك .. لعل هذا النعـــي يذكرني به و من خلال تلك القصاصة .. وما أكثر قصاصاتك يا ســـيدي .. فلدعنا نتجول بين شظاياك الرقيقة دعنا نتأمل (تركتك) الناعمة ..(التركة)التي أسميها هكذا لأنها لن تزول مثل باقي التركات التي زالت بين أيدي (الورثـــة).. فلا تندموا أيها الشعراء ..و لا تيأسوا أيها الأدباء من ركود أوراقكم .. فـــهي إلى النور طالما تحمل قيمة ما حاربتم من أجله ..

ورقة(١) :ورقة من مجلة الرســالة (صفحة ١٣٢٧/١٣٢٨)لا تحمل تاريخا . . و تحمل قصيدة (للأديب عبد العليم عيسى). . من الواضح أنه أرسلها مـــن قريته (المياسرة _ دقهلية) . .القصيدة عنوانها" أنا الباكي" . .
ملحوظة : كنت متردداً في اختيار عنوان لديواني . . ذلك الديوان القصيـــدة الـــذي طـــبعته في ذكـــراه الأولى . . لا أدرى لمـــاذا هاجمني هذا العنـــوان . . (الناي الحزين) ..و ها هو الشاعر في مطلع شبابه يهتف . .(أنا الباكي)

أنه يقول في آخر القصيدة :

أنا الشاكي و لكن أين   من يسمع شكوايـــا
أنا الباكي و لكن أين   من يعرف بلوايـــا
لقدَ رَقّت إلي النـــاس   حنايا قلبي الآسي
فسـل قلبي كـــم رق   له قلب من الناس
(و كم أشقي على دنياي أعراسي)
(و أفراحي و لـــذاتي و إيناسي)

أما الصفحة التالية فتحمل قصيدة (أيها الحائر) (للأستاذ) محمـــود حســـن إسماعيل . . و لعلها صدفة أن يجتمع (الأستاذ) . . و (الأديب) على ورقـــة واحدة . . هذا تأخذه الحيرة و ذاك يأخذه البكاء . .

و كأنهما قد ملأ قصيدتيهما من بئر الحزن في نفس اللحظة إذ يبدأ محمود حسن إسماعيل قصيدته :

سألتني لم إطراقك	في ظل السكون
أيها الصامت كالنغمة	في العود الحزين
أيها الحائر كالزو	رق في بحر السنين
أيها الذابل كالآ	هة في الجرح الدفين

ثم يقول :

قلت ياسر عذا بي و شقائي و شجوني
يا حبا زلزل أحلامي و صفوى و سكوني
و مشى ناراً على نيران شوقي و حنيني

و لكنها ليست صدفة أن يكون الشاعر محمود حسن إسماعيل هو محط إعجاب و تقدير و تأثر الشاعر عبد العليم عيسى في مسيرته الشعرية . . لقد كتب ذلك في مقدمة ديوانه . . و أعلن ذلك لتلاميذه . . و أجاب بذلك في لقاءاته الثقافية المتلفزه مع صديقه و بلدياته الشاعر فاروق شوشه.
أما عن مجلة الرسالة التي حملت باكورة أشعاره إلى الناس فقد كتب عنها قائلاً في اعتزاز : (لا شك أن مجلة الرسالة التي كانت تصدر في يوم الاثنين من كل أسبوع و التي كانت توزع مائتي ألف نسخة من كل عدد . . كان لها

الفضل الأكبر من في تشجيعي و تعريف الأدباء بي . . و إيماني بشعري و كـان كل هذا ينعكس على تجربتي الشعرية و يؤكد ذاتي أمام نفسي)

ورقة (٢):

ورقة مسـطورة . . الصفحة الأولى.. مسودة قصيدة بقلم أسود .. العنـوان (إلى العزيز انور أحمد بفرنسا). . ثم هامش فى أعلا اليسار (بمستشفى بـول بروس في الحي اليهودي بفرنسا) . . . . . .

الصفحة الثانية : مسودة قصيدة أخرى كتبت عن أنور احمد نفسه..و لكـن بعنوان (دمعة على الأديب الفنان الأستاذ أنور أحمد)

يبدو لنا أنه لم يكد ينتهي من قصيدته المهداه لصديقه المريض الذي يعـالج فى فرنسا حتى فاجأه نبأ موته . . فعمد إلى نفس الورقة . . و كتب على ظاهرهـا قصيدة الرثاء . . و الغريب أنه كتبها بعد عامين من وفاته .. لانه راح يسـجل بجانب القصيدة بعض الملاحظات قائلا :

- منذ عامين سافر الأستاذ انور أحمد للعـلاج فى فرنسا .
- الأستاذ أنور احمد الذي رحل عنـا منـذ عامين و هو ملء السمع و البصر و زينـة المحافل .
- كانت أمسية الثلاثـاء الفنيـة و الأدبيـة مقصـورة عـلى عـدد محـدود مـن أصدقائه و هم : فنان مصر الكبير صـلاح

طاهر رائد الإذاعيين الكاتب الفنان محمد فتحي. . و الوزير السابق الأديب فتحي يونس . . و أنا . . لقد كان هذا الصالون الأدبي متعة نفسية و فكرية لا تعادلها متعة.. و بانتهائه انتهى للأسف عهد الصالونات الأدبية (الزاهرة الجادة) فى مصر.

فهل لنا أن نستخرج من أوراقه (ما يذكرنا) بصديقه العزيز انور احمد (أننا بذلك نذكر و نتذكر أحد رجالات هذا العصر)انور أحمد(المرشح لجائزة الدولة التقديرية فى النشاط الاجتماعي)

- أحد رواد العمل الاجتماعي
- أسهم بنصيب كبير فى إرساء قواعد وتأصيل مبادئه على المستوى الفكري و الشعبي . .
- مواليد ١٩١٣ (منوف)
- ليسانس قانون و اقتصاد جامعة القاهرة ١٩٣٥
- تدرج فى الوظائف من :

وكيل نيابة عامة

- قضى بسلك القضاء عشرة أعوام
- تقلد وظائف عديدة فى الشئون الاجتماعية
- وكيل لوزارة الشئون فى أوائل الستينات
- تدريس القـــانون لطلبة كلية الشرطة(عشرة أعوام)
- أستاذ غير متفرغ بكلية الخدمة الاجتماعية
- مدير إدارة التشريع و البحـــوث الفنية بوزارة الشئون الاجتماعية

• **حقق العديد من التشريعات الاجتماعية (بداية النهضة التشريعية الاجتماعيـــة فى مصر)**

- قانون الأحـــداث المشردين
- قانون الضمان الاجتماعي
- أول قانون للمساكن الشعبية
- دعا إلي إلغاء البغاء الرسمي
- تمصير الإذاعة بعـــــد إلغاء عقد شركة ماركونى

- صياغة القانون رقم ٣٢ لسنة ١٩٦٤ (الجمعيات و المؤسسات الأهلية)
- قانون الأسرة فى مجال الحياة الشخصية للمسلمين

• متعدد جوانب النشاط

- كاتب اجتماعي
- أديب متميز
- محدث إذاعي
- خطيب فصيح
- فنان تعبيري فى التمثيل و الأداء

• فى مجال الكتابة و التأليف :

- العدالة الاجتماعية الإسلامية (رسالة عن مقومات العدالة الاجتماعية)
- خطباء صنعوا التاريخ (دراسة للسيرة و الفن الخطابي)
- نساء خالدات (صورة لحياة عدد من مشاهير النساء فى التاريخ)

- اللهب المقلس (مجموعة قصـــص قصيرة لنماذج بشرية فى المجتمع)
- صديقى اللص(مسرحية كوميديـة اجتماعية)

و أمامي عدة صفحات لا داعي لنقلها و كلها سطور رائعة تنبئ عــــن ثــراء شخصية الفنان انور احمد فى مجال الكتابة للتليفزيون و الصحف و الإذاعة .

فى مجال الفن :

من أبرز أعماله كتابة سيناريو فيلم مصطفى كامل مع الأستاذ يوسف جوهـر . . ثم قيامه بتمثيل دور الزعيم الشاب مصطفى كامل فى الفيلم .

ملحوظة :

(شاهدنا هذا الفيلم مرارا و نحن فى عهد الصبا و الشباب و كـــان الوجـــدان مفعما بزخم المد الثوري . .عندما كان لكلمة الوطنية قيمتــــها . . ولكلمـــة القومية معناها . . و لكلمة الثورة وقعها الفوّار فى النفوس . . و من المؤكـد أن صورة أنور احمد التي تحمل الكثير من ملامح ووسامة الزعيم مصطفى كـــامل كان لها الأثر الكبير فى إقناعنا بقيمة هذا الزعيم الوطني الثائر..)

لقد فعل أنور أحمد ما يعجز عن فعله كل نجوم السينما .. إذ اكتفى بتمثيل هذا الدور حتى يظل مرتبطا فى ذاكرة المشاهدين و ذاكرة السينما بهذا الدور القيـــم و رفض القيام بتمثيل أي أدوار أخري رغم الإلحاح الشــــديد عليـــه و رغـــم

الإغراء المادي الكبير .. و اكتفى بنشاطاته المتعددة و عضويته في كثير من مجالات النشاط (المجلس الأعلى للثقافة/لجنة الصحافة/لجنة الإذاعة والتليفزيون/ شعبة الفنون بالمجمع اللغوي/مجلس بحوث المجتمعات الجديدة بأكاديمية البحث العلمي/مجلس إدارة جمعية أسرة المستقبل/جمعية أحياء التراث الموسيقى العربي/مجلس إدارة جهاز تنمية مدينة العاشر من رمضان/ لجنة المرأة و الشباب و الرياضة / لجنة معونة الشتاء / رئيس لجنة الهلال الأحمر / ...الخ)

هذا هو أنور أحمد .. الصديق الصدوق للشاعر عبد العليم عيسى ..تحابا ..وتعانقا .. و التقيا..و وأثمرت قطوفهما في حدائق الشعر و الفن والأدب.. اشتركا في الجنتلة .. والوسامة .. و لكرم .. وحب الحياة .. ترفعا عن الدونية وماديات الحياة وسقطات البشر المهمومين بعفن الحياة و أعراضها الزائلة.. وها هو عبد العليم عيسى يضع رأيه (ملخصاً) في صديقه الفنان أنور أحمد .. إنها قصاصة حجمها يصل إلى ربع ورقة فولوسكاب مسطر .. بها خمس سطور .. بها كثير من الشطب الذي سأتجاهله و أنقل الصياغة المتماسكة (لقد كان المرحوم الأستاذ انور احمد طرازاً نادر المثال في صفاء قلبه.. وطهارة نفسه .. و تعدد مواهبه وملكاته .. وإسهامه في شتى مجالات الفنون والمعرفة .. ولقد كان رأيي دائما أنه لو كان قد قدر لطاقاته الهائلة ان تحتشد في طاقة واحدة تقف نفسها على فن من الفنون أو علم من العلوم ولكان من رواد هذا الفن و لكان موردا من موارده واحد الثقات الذين يُسترشد بهم إذا انبهمت عليهم الأمور..ولكن هل يستطيع الجدول أن يستوعب البحر الجياش ؟)

و دعونا نعود الى قصيدته التي لم يكملها عندما كان صديقه على سرير المــرض .

روحـي تحـوم علـى سـريرك دائمـا   وأنـا هنـا أحيـا حسـيرا واجمـا
طـال الغيـاب .. فغـاب أنسـى كلـه   و غـدا الصبـاح أمـام عيـني قاتمـا
واسـترخت الأوتـار فـي عـودي   وتركتـني فيـه طروبـا هائمـا
و انفض سامرنا..وكنت على المدى   فيـه أنسـيا لنـا و منادمـاً

عد يا حبيبي لا تطل أمد النوى   فبغيرك الأيـام تصبـح جاحمـا
عـد للمحـافل و الـذري فلطالمـا   قـد كنت فيها المستنير الفاهمـا
و لطالمـا جَلْجَلْـت فـي جنباتـها   مسترسلا سمـح العبـارة حاسمـا
عـد للصحـاب الأوفيـاء فكلـهم   يدعـون ربـك أن يعيـدك سـالماً

* * * * * *

و عندما لم يعد صديقه ...إلا جثة هامدة ...قال له في قصيدته المنشورة :

سـلام علـى عـهد أنيـق تـألفت   بـه صحبـه للفـن تعلـى أواسـيه
تفاوح طيب الفن فيه .. و طوفت   بنـا النفـس تجلـو دياجيـه
فآهـا عليـه .. لـن يعـود زمانـه   وولـت ليـال لم ترفـق بمكـروه

* * * * * *

سلام على عبد العليم

سلام على انور احمد

سلام على فارسين من فرسان الزمن الجميل

ورقة (٣) :

قصاصة صغيرة بها أربع أبيات من الشعر التفعيلة

أنا هكذا ..

طفل الحياة رضعتها

فنشأت أحمل كنهها

و أزود عن أقداسها عبر الدهور

الله ..يا أستاذ ..

هل هي بداية قصيدة لم تكتمل ؟

هل راق له أن يُعَرفَّ نفسه إلى نفسه عبر هذه الأبيات.. الله اعلم ..

و لكنها ..بداية طيبة .. كانت من الممكن أن تكون توأم قصيدتك (الجبة) التي تحمل فى طياتها نظرة فلسفية عميقة لفكرة الوجود و الأزل. . تُرى هل لأنسك أخذت لها ثوب التفعيلة يكسوها فقد خدعك ذلك القماش الجديد الـذي لم تتعود أن تستخدمه . . رغم أنك استخدمته فى بعض المناسبات لتقول لأصحاب هذا الزي الجديد : ما ترتدونه ليس من القبح فى شئ . . طالما إن المرتدي يليق به ثوبه ..ولائق عليه الثوب .

ورقة (٤):مسودة قصيرة من ثمان أبيات .. بثلاث أوزان مختلفة .. و القصيدة عنوالها (نII)... و تاريخها ١٩٧٥/٩/٢٨ .. و فى نفس الصفحة عدة تواريخ لحساب الأيام من الاثنين ١٩٧٥/٩/٢٩ إلي الخميس ١٩٧٥/١٠/٢ .. و مكتوب أمام تاريخ اليوم كلمة (يوم الكشف) .. و بالبحث فى باقي هذه الأوراق تم العثور على إيصال دفع المبلغ ١٠٠ جم لمستشفى الشبراوى بتاريخ ١٩٧٥/١٠/٢م باسم نعمات عبد المولى ..

إذن (ن) هي نعمات ..

إنها أبنه عمه نعمات عبد المولى التي أختطفها الموت بعد هذا التاريخ بمدة قصيرة و التي عاش حزينا من أجلها حتى آخر حياته .. و من الممكن أن نؤرخ لتاريخه المرضى بدءا من هذه الشهور .. إذ زارته أول ذبحة صدرية بعد فراق هذه الفتاة الجامعية التي اختطفها الموت و هي فى عمر الزهور ..وكان شاعرنا يقترب من الستين .

القصاصة التي أمامنا توحي بمحاولات فى كتابة قصيدة إليها و هي فى سرير المرض .. (نفس ما أتجه إليه مع صديقه انور احمد).

ان مشروع القصيدة لم يكتمل .. بل من الواضح أنه بدأها بأكثر من بداية كما يلي :

ـ ١ ـ

كل شئ هنا يسألني عنك ... شوقا إليك جم الحنين
كل شئ هنا يتيم حزين ... مرعب الصمت ..و الأسى و الأنين

و أنا كـالحريق مشـتعل الهـم أعـاني مـن حرقـق و شـجوني
فتعالى إلى يـا أنـس روحـي تنقذي قلـبي مـن أسـاه الدفـين

ـ ٢ ـ

أيها الموت يا مجيري مـن الهـم تقرب و ضـم صـدري العليـلا
أرجع الظامئ الشوق إلى الدنيـا و خـذني إليـك عنـه بديـلا

ـ ٣ ـ

أردت بـالخمر أنسـى فاشـعلت أحـزاني
فكيـف أهـرب ممـا يجيـش فى وجـداني

فى المحاولة الأولى: يناجيها و يبثها شعوره بالحزن و الصمت و الأسى و الحنين و الحرقة والشجون . . تماما مثل كل الأشياء التي تحيطه و تسأله عنها .

و فى المحاولة الثانية: يطلب من الموت أن يضمه هو و يرجع اختطاف زهرتـه الظامئة المشوقة إلى الدنيا . . و يأخذه هو بديلا عنها (آه. . لو كـان قـد أكمل هذه القصيدة !!)

وفى المحاولة الثالثة : و بإيقاع سريع حاول أن تكون بدايته بمنادمة الخمر الـتي لم تنجح فى إطفاء أحزانه و لا الهروب من لواعج نفسه. . .

لا ندرى ما الذي كتبه الشاعر حول(ابنته) المختطفة بعد موتها . . و لكنـه أوقف مناجاتها وهي على فراش المرض (بعد تشتته فى ثلاث بدايات لم يكمـل واحدة منها) ..ربما لانهماكه فى السعي بها إلى الأطباء و المستشفيات . . و ربما

قد أخذه التشاؤم و قد جرب من قبل مناجاة صديقه المريض أنور احمد حتى جاءه الناعي فألجم انهمار الشعر عندما انهمرت الدموع .

أن شاعرنا الكبير دائما ما يحركه الأسى و الحزن . . و ينهمر شعره قبل انهمار دموعه على الأحباب الذين يمرضون ثم يموتون . . كل ما يتعلق بالوجدان هو طريقه . .و لذا فبكائياته تملأ دواوينه .. و لو تتبعنا دموعه التي ذرفها (وراء الراحلين) لوجدناه قد ذرف دموعه (القصائد) خلف (أم كلثوم ـ صبري راغب ـ احمد مخيمر ـ صلاح عبد الصبور ـانور احمد ـ عامر العقاد ـ أمل دنقل ـ طاهر أبو فاشا ـ فتحي سعيد ـ العقاد ـ على محمود طه ـ احمد بهاء الدين ـ عبد الرحمن الخميسي ـ عبد الفتاح الجمل ـ محمد مهدى الجواهرى . .) .

و ها هي أمامي مسودة بكائية بذل فيها جهداً كبيرا بخط منمنم . . و تعديلات متفرقة . . و قد بحثت فى كل بكائياته فلم أجد لهذه القصيدة أي أثر فى ما نشر من قصائد رغم قوتها و طولها (٣٢بيت) . . و قد حاولت التعرف على ذلك المنعي فلم أوفق ..و يمكنني رغم الخط المنمنم (ليس كعادته) ..و التعديلات المتناثرة . . و تداخل الشطرات و بعثرتها أن أصل إلى قوام القصيدة المتماسك كما كان يجب أن يصل بها لو قام بتبييضها. .

١)بكيت عليه حين راح ولم يزل — عليه فؤادي ..يسكب الدمع هاميا

٢)كأني لم أفقد سواه وكم قضي — حبيب فأبكاني و هونت ما بيا

٣)وقلت عليه رحمة الله قد مضى — و ليس بمُجد أن يطول بكائيا

٤)أقول لنفسي هوني الرزء و اصبري — و لا تأخذي الأقدار إلا كما هي

٥)خذيها قضاء ليس ينقض حكمه — و لا ينحني إن اطلت التشاكيا

٦)فكم صابني سهم الردى غير راحم — و كم صاحب و لي و ما عاد ثانيا

٧)فقدت صحابي واحدا بعد واحد — و ما ظل لي إلا بؤسي و المآسيا

٨)فقالت . . و كيف الصبر بعد غيابه — و قد كان لي روحا نقيا مصافيا

٩)و كان إذا غم الطريق و رابني — أنيسا يسليني و يجلو الدياجيا

١٠)و كان إذا جفت بحاري و لم أجد — رويا . . روى جدبى و قد كان صاديا

و يبدو أنه قد راق له أن يعيد صياغة البيتين الأخيرين بشكل آخر . . فوضع بديلا لهما فى نفس الشطر دون أن يشطبهما . .

١١)و كان إذا غم الطريق و أطبقت — دياجيه يسليني و يجلو الدياجيا

١٢)وكان إذا جفت حياتي وصوحت — رواها .. فيغدو جدبها الصلب ناديا

١٣) و كنا بشعرينا (. . . .) كأننا — أليفان .. أشجيه كما كان شاجيا

الآن نستطيع أن نكتشف أنه ينعى شاعرا . . . أما الفراغ فى الشطرة الأولى فهي كلمة لم أستطع قراءتها فى المخطوطة و لم أسمح لنفسي بوضع كلمة بديلة . . . و سيكون هذا حالي كلما غمضت إحدى الكلمات . .

١٤) و كنا إذا حل المساء تفرعت — أحاديثنا فى كل صوب عواليا

وللشطرة الأخيرة تعديل (تطوى المدى و اللياليا)

لقد وضع وصفين لأحاديثه مع شاعره المنعي . . . فأيـــهما كان ســروق لــه و (يعتمده) إذا قام بتبيض القصيدة ؟ . . هل وصـــف الأحاديث التي تتفـرع و تنطلق صوب الأعالي..أم تلك التي تطوى المدى و الليالي؟

١٥)أقول فيصغي لي و أصغى لقوله   وقد لا نرى في القولتين تلاقيـــــا

أو   ......   وقد ما لا يرى ما ارتأى . . و بدا ليا

و هو هنا أيضا يحتار في وصف موقف كل منهما تجاه الأخر عندما يتبـــادلان الآراء . . إذ ربما لا يلتقيان أحيانا . . فأصبحت الشطرة الثانية ذات وصفـين.. كان سيركن إلى أميزهما في نظره عند نسخ القصيدة .

١٦) فتصـطرع الآراء حـتى كأننـا   بمعترك (تذكيه) السـيوف المواضيا

١٧) و لكننـا بعـد الصـراع و عنفـه   يعــود كلانـــا للســـكينة صافيـــا

١٨) فقلت لها يا نفس إن الذي بقي   من الصحب لن يبقوا فكوني حمى ليا

و قد كان للبيت الأخير رصف آخر قام بشطبه أنقله لكم من خلال الشطب

١٨) فقلت لها يا نفس إن أصـاحبي   سيمضون فاستبقى (...) حمى ليا

ثم يمضي مخاطبا نفسه:

١٩) فكيف و أنت اليوم ثكلى عليلة إذا رحلوا تستقبلين الدواهيا

و يمكنني الاجتهاد فى (رص) الأبيات المتبقية خاصة الأبيات الكاملة و التي أراها مبعثرة فى الصفحة دون ترتيب بما يجعلنا نحس أن الشعر كان منهمرا و طيعا حتى أنه (أي الشاعر) كان مدفوعا لتسجيل كل ما ينهمر على خاطره أحيانا فى أسفل الصفحة و أحيانا على ظهرها . . و أحيانا فى منتصفها بشكل عشوائي لا يذكرنا بميله المعروف للترتيب و الحرص على جمال الخط. إنني أتخيله من خلال هذه الصفحة كعطشان سال عليه المطر فراح يتلقفه بكل ما يملك من أوانٍ و صحائف يبعثرها هنا و هناك طلبا لاستبقاء الماء . .

٢٠) توزعت الأحزان في كل محنة و أنت حملت الحزن وحدك عاتيا

٢١) سيفجؤني دهري بموت أحبتي و يسلب أحبابي كما الوحش ضاريا

٢٢) و نأخذ في لهو الحديث و فرحه و نحسب أنا قد بلغنا الأمانيا

(أعتقد أن هذا البيت مكانه الصحيح بعد البيت رقم ١٧)

٢٣) سيبقى معي نزف قلبي إلى المدى و إن كان عني في الأجادب نائيا

٢٤) سيبقى هنا جرحا يئز بأضلعي أحاوره حتى تحين و فاتيا

٢٥) فقالت سيمضي كل خطب و إن قسا و لكن خطبي قد يمكّث داميا

(هذا البيت توحي صياغته أنه بعد البيت رقم ١٩)

٢٦) لقد كان بعضي كيف أحيا بدونه ... وكيف يطيب العيش دون اكتماليا

٢٧) يتيه بمعنى واحد كل فاخر ... وقد جمع الرحمن فيه المعانيا

٢٨) وكان على الأيام معنى بجانبي ... فلما نأى عني فقدت المعانيا

٢٩) وكان إذا اشتد الهجير ظليلتي ... وكان روائي ان فقدت المراميا

٣٠) وكنت له ورداً إذا التهب الصدى ... أسقيه حتى يصبح القلب نادياً

٣١) تعصرت الأيام عودي فلم يعد ... كما كان مثل الأمس ريان زاهيا

أو ... يغالب عصف الريح كالأمس عاتيا

٣٢) إذا أنت أنفقت الذخيرة كلها ... ندمت على الإسراف عند احتياجيا

إن شاعرنا و قد توزعت مشاعره و هو يبني قصيدته قد تمكن من القبض على كل ما انهال عليه من شعر ووضعه على الورق تارة يناجي صديقه الراحل . . و يتأسى على ذكرياتهما معا . . و يؤكد ضياعه من بعده . . ثم يخاطب نفسه و يسائلها كيف لها أن تصبر بعد غياب أحبابه . .؟ !!

و إذا كان لى أن أجتهد فى معرفة أسم هذا الشاعر المنعي و الصديق الذي كان يحتدم معه شاعرنا بحب و ألفه فاعتقد أنه الشاعر المرحوم طاهر أبو فاشا .
و قد عدت إلى كل بكائياته (وراء الراحلين) . . و لم أجد لهذه القصيدة أثـرا.
. و لقد تعجبت لفيضان بئر حزنه العميق وأنا أراه يستهل بكائياته لكل راحل من أحبابه استهلالا منفردا و لا يحمل تكرارا .

١) طاهر أبو فاشا :

ما زال قلبي منذ أن فارقته   يصلى الأسى و ينؤ بالآلام

٢) عبد الرحمن الخميسي :

فارقتني و الليل جهم موحش   يرخى سدائله على الأرجاء

٣) عبد الفتاح الجمل :

قبلي رحلت و كنت صفو زماني   وعزاء قلبي إن طفت أحزاني

٤)محمد مهدى الجواهرى:

غاب عنا الجواهرى شاعر العصر   فغابت كل المعاني النبيلـة

٥)أحمد بهاء الدين :

فارس الكلمة الجســـور ترفق   بقلوب من شوقها تتحـــرق

٦) عمر أبو ريشة :

آثِم الموتُ حين هاض جنـاحيه   فأهوى . . بعد اعتلاء السحاب

٧) فتحي سعيد :

لماذا تعجلت الرحيل . . و لم تزل   مشـــوقا إلى الدنيا حفيا بها صبا

٨) العقاد :

اخفض جناحك . . أنت في أسوان   و احفل بها فهنا أجلُّ مكـــان

٩) أحمد مخيمر :

مرّعـــــام على غيابك عنى   و أنـــا لم أزل أكـــابد حزني

١٠) أحمد مخيمر (فى قصيدة أخرى):

ما زال قيثــــارك في ركنه   تؤج فيه النــــار من حـــزنه

١١) أمل دنقل :

و راح أمل

و كنا نهدهد طيلة عامين أوجاعنا

و نعصم أنفسنا بالرجاء

و نطرق باب القدر

حزانى . . حيارى

عسى أن يَمُنَّ بمعجزة فى النهاية

فما الشاعر الحق إلا رسول الهداية

لكل البشر

لقد أختار شاعرنا أن ينعى أمل كما نعى صلاح عبد الصبور بقصيدة من شعر التفعيلة خلافا لكل قصائده وراء الراحلين . .

١٢) طاهر أبو فاشا (فى قصيدة أخرى) :

وحدي بقيت و كنت أنت عزائي   و سمير ليلى . . و امتداد رجائي

١٣) صلاح عبد الصبور :

كيف مات ؟

ذلك القلب الذي كان سخي النغمات

و الذي أيقظ فينا

نشوة الصحو . . و نبض الكلمات

١٤) أنور احمد :

نعم راح يا قلبي . . و راحت لياليه

فصدق . . و ذق طعم الأسى و دواهيه

١٥) عامر العقاد :

إلى أين تمضي ؟ . . قف . . تمهل فلم يزل

بقلبي حنين ظامئ و لـهاب

أما هذه القصـــيدة (الغير مســـماه) و التي ســـجلناها نقلا من مســـــودهما (العجيبة) فتعتبر من أهم بكائـــياته و لا أدرى لـــماذا لم تـــأخذ مكانهـــا فى دواوينه ؟ .. فلو كانت مؤرخة لعرفنا إلى من كانت من راحليه . . و لو سُمح لى بمزيد من الاجتهادات التفسيرية لقلت معتقدا أن هذه القصيدة بمـــا كتبـــت عليه من (ورقة محدودة) و بخط منمنم توحي بأنه كتبها فى مكان عام لإصراره على إنجاز كل القصيدة فى هذه الصفحة الوحيدة التي يمتلكها و بخـط منمنم . . و ان هذه الورقة (الثروة) ضاعت بين أوراقه و لم يجدها لينشرها..

(٢)

محاولة (لم تكتمل) للولوج إلى عالم الطرب:

كان الشيخ سيد مكاوي من أصدقائه المقربين . . و من ندمائه المخلصين . . وللشيخ سيد مكاوي شهرته فى مجالس السمر و الترويح . . و لا أدرى لماذا خلت كتب الظرفاء من الحديث عنه كأحد ظرفاء العصر . . وربما لو جاء من يهتم بجمع نكاته ونوادره و مواقفه لوجد له مكانا بارزا بين الظرفاء المشهورين (كامل الشناوى ـ عبد العزيز البشرى ـ محمد العبد ـ عبد الحميد قطامش ـ حافظ إبراهيم ـ و غيرهم) .

أكاد أسمع الشيخ سيد يطالب صديقه الشاعر عبد العليم عيسى بكتابة أغنية عاطفية لتلحينها . . و أكاد أسمع شاعرنا يسأله: أغنية بالعامية ؟

ـ أيوة بالعامية .. مش عجباك العامية ؟ . .

ـ عندك أحمد رامى و احمد شفيق كامل و حسين السيد مش دول شعرا ؟ . .

ـ بس أنا لم أجرب الكتابة بالعامية . .

يا عم . . جرب . .و لو عجبتنى اوعدك ألحنها فوراً

: ربنا يسهل . .

و ربما راق لشاعرنا أن يجرب بالفعل . . و لكن دون ان يعلن ذلك لصديقه الشيخ سيد مكاوي . . و جعل تجربته بينه و بين نفسه . . فإن راقت الأغنية

لشاعرنا ربما يبادر بتقديمها إلى الشيخ سيد . . وإن لم ترق له فسوف يحتفظ بما كتبه لنفسه و بما أنه لم يقطع على نفسه عهدا أمام الشيخ سيد فهو فى حل من الوفاء بشيء لم يعد به . .

و ها هي أوراق شاعرنا تحتوى على محاولة(جادة) لكتابة أغنية بالعامية . . إنها المحاولة الوحيدة التي وجدتها (حتى الآن) بين أوراقه . . و أراه متأثراً فيها بهذا اللون الراقي من عواطف الحب الذي كانت تشدو به (حبيبته) أم كلثوم . . كما أراها متفرقة كالشظايا على الورق أو كاللؤلؤ المنثور على بساط من الحرير . .

غِيب وطوّل فى الغياب
ياَ اللي غايب عن عيوني
مش حقول كلمة عتاب
مش حقولك يوم تجينى

* * * * * *

مين حيوصفلك جمالك
بالنغم . . ولاّ الكلام
مين حيرضيلك غرورك
و أنت مغرور ع الدوام

* * * * * *

بكرة ترجع للي كان بنّا وتتحسر عليه
لما تلقى الليل يطول و أنت بتقاسي اللي فيه

بكره ترجع للي شفناه فى الحياه

و اللي شافنا و كان يبادلنا هواه

*** * * * * ***

لعلها بمجموعة بدايات راح يجرها حتى إذا تمكن من إحداهـــا انســاق وعيــه ووجدانه خلفها حتى النهاية . .و هو هنا يخاطب حبيب قد هجره . . حبيـــب مغرور قد أدار له ظهره . . (تبين لي أن تجربة شاعرنا العاطفية كمـــا أنبـــأتني الأوراق و خطابات الحبيبات إليه أفمن كن يتورطن فى هجره . . عندما يديــــر لهن ظهره . . و لكن فى غير غرور) .

ثم ينعطف فى أغنيته إلى وصف هذا الحبيب :

فى السما زُرقة عيونك

فى الشفق حمرة خدودك

و الطيور لما تغنى

لحنها من لحن عودك

*** * ***

أنت زي الفل الأبيض فى صباح نادي منّور

فوق جداول فيها مية من جمال الفل تسكر

*** * ***

ثم يعود فيذكر حبيبه بأيام الحب التي غاب عنها و ذهب و لم يعد :

انت فاكر لما كنا في المسا تحت الشجر

و النسيم زي الحرير

و الروايح رايحه جايه

و القمر طالل علينا

بيسامرنا و يناجينا

قلت لك يومها و قلبي

بحر هايج بالحنان

......

و توقف القول . . و توقف الشعر . . و لم تكتمل الأغنية . . هل لأن شاعرنا استغرب ارتياده لهذا الدرب؟ . . . صحيح انه الشعر بكل ما فيه من شعور و شجن و مقومات . . ولكن لماذا لا يجده طوع إرادته كشعره الفصيح العمودي المحبب ؟ . . لقد قطع شوطاً في الأغنية قد يكفي للغناء . . و لكنه قد يراها ليست جديرة بأن تحمل اسمه . . إذن فلتمت تلك المحاولة في مهدها . . ولندع الأغنية لأصحابها . . و لندع الشعر العامي لفرسانه . . و ليعلم الشيخ سيد مكاوي أنني لم اقترب من هذا الشاطئ ..ولن أقترب إلا متذوقا..

ثم أكاد أسمعهما في جلسة ثانية يتحدثان ..الشيخ سيد مكاوي..وشاعرنا الراحل..

- فين الأغنية يا عبد العليم ؟
- مفيش داعي يا شيخ سيد . . سيب الأغنية بصحابها

- يعني يا عبد العليم مش عايز نحط أسامينا جنب بعض فى عمل غنائي من تأليفك و تلحيني ؟

- أنا يشرفني يا شيخ سيد

- طيب إيه رأيك أنا نفسي نعمل قصيدة يكون فيها مناجاة لربنا . . حاجة كده تكون صوفية او دينية . . . و طبعا بالفصحى و بشعرك الجميل . . . كلام يكون سهل وعميق فى نفس الوقت . .

و يهز عبد العليم الرزين رأسه موافقاً و آملاً أن يلبى لصديقه رغبته. . تلك الرغبة التي أشرقت فى أعماقه بنوع من الرجاء فى أن يبدأ فى تلقى فيض الخاطر.. و من المؤكد أنه انساق نحو خواطره التي راحتَ تومض بابتهالات لا يدرى كنهها . . و لكنها تنساب فى داخله كما لو كانت صدىً قادم من الأفق البعيد . . . تحمله موجات الأثير من مكان مجهول . . أقل ما يمكن تفسيره به أن يكون صوت مذياع خافت يحمل ابتهالات رابعة العدوية بصوت أم كلثوم.

و بعد أن ينفرد شاعرنا بنفسه يبدأ في تسطير ابتهالاته شعرا إلى الله . . . و يضع عنوان قصيدته بخط منمق بقلمه ذو اللون الأخضر المحبب إلي نفسه (ابتهالات) ثم يخط به تسرع و ملل (طلبها الشيخ سيد مكاوي . . و لم أكملها) . . . و الغريب أن هذا التعليق السريع منه على قصيدته يتناف مع (الحالة) التي ولدت بها القصيدة . . فهي كاملة . . . من سبع عشر بيتا . .

في ثلاث مقاطع . . و هناك مقطع رابع كان في نيته البدء به و توقف عند حد كتابة رقم (٤) ولم يكتب به بيتا واحداً .

إنه الملل . . الذي كان يصف به نفسه أحياناً قائلاً (كثيراً ما أكون ملولاً) . . . و لو قلنا أنها الرغبة التي لا يجب أن يساق بها أو إليها . . و رفضه الداخلي في أن يُستكتب . . فهذا القول مردود بأنّ شاعرنا لم يُسَقْ سوقاً للكتابة بفعل فاعل . . و لم يرفض دعوة صديقه بل استجاب لها كل دواخله بدليل أنه قد كتب فعلاً . . و يبقى السؤال : و لماذا لم يكمل ؟ . . أو لماذا لم يقدم هذا الذي كتبه لصديقه الملحن العظيم ليسهما في إثراء عالم الطرب بأغنية بها همس النساك . . و زهد الصوفيين . . ؟

ابتهالات

ـ ١ ـ

يا رب . . يا مبدع الأكوان . . يا مددي	على الشدائد و الأهوال و الكمد
قصدت بابك يحدوني الرجاء فلا	ترفض رجائي و ساعدني و خذ بيدي
من لي سواك معين أستعين به؟	و انت وحدك يا رباه معتمدي
هبني أسات فعذري انني بشر	و أن عفوك يا مولاي معتقدي
انت العليم بأحوالي و ما جُبلت	عليه نفسي و ما ينساب في خلدي

— ٢ —

يا سادراً في غيّه و رغابه متغافلاً عن ربه و عقابه

ارجع إلي الرحمن و اطلب عفوه تربح و لا تخسر بيوم حسابه

إن الحياة قصيرة موقوتة و العمر مهما طال رُهن ذهابه

فإلامَ تغريك الخطايا و الهوى و إلامَ لا تُصغي لحكم كتابه؟

فاصنع على الدنيا الجميل لأنه خيرٌ.. و عقباه جزيل ثوابه

و الباقيات الصالحات هي التي تنجيك في يوم الوقوف ببابه

— ٣ —

يراك بكل الكائنات جناني فتهتز أشواقي بكل كياني

أراك بأضواء الصباح و بشره و في طلعة الفجر الندى الحاني

و في الزهر يندي فرحة و بشاشة و في الطير يشدو أعذب الألحان

و في البحر يجرى بالحياة فلا يُرى على جانبيه غير خضر جنان

تراءيت لي يا رب في كل ما أرى فأنت معي دوماً بكل مكان

و ما ضل قلب أنت فيه د ليله و هاديه نحو النور و الإيمان

— ٤ —

....

إنها قصيدة من ثلاث قصائد . . فلقد توزعت نفسه و مشاعره و سكب ما سكبه من شعر على الورق ثم راح يتأمله . . فوجد أنها ثلاث مقاطع مختلفة .

. بثلاث إيقاعات شعرية مختلفة . . فعمد إلي قلم اسود . . و أطلق على كـــل مقطوعة اسما مختلفاً . .

فأطلق على المقطوعة الأولي اسم : من لي سواك
و أطلق على المقطوعة الثانية اسم : ارجع إلي الرحمن
و أطلق على المقطوعة الثالثة اسم : أراك بكل الكائنات

ـ هل كان يأمل أن تأتى قصيدته وِحدة واحدة ذات عنـــوان واحـــد بإيقاع واحد ؟ .. إن الأمر ليس بيديه . .

- هل أكتشف أن كل مقطوعة لا تفي بكل ما فى نفسه و أنها قصـــيرة إلى الحد الذي لا يبلغ مدي القصيدة التي يأملها؟

- هل رأى أن الرجاء الذليل منه إلى الله فى المقطوعة الأولى و النصـــح المهيب للبشر في الثانية . .و اهتزاز كيانه برؤية خلق الله فى الثالثـــة .. جعلـــه يتمنى لو أذاب كل هذه المشاعر في بوتقة واحدة يقدمها كالعطر إلي مســـتمعيه في لمسة واحدة ؟ . . و لما لم تتحقق أمنيته . . ركن قلمــــه جانبـــا .. و قـــرر الاكتفاء بما كتبه .. و قرر عدم تقديم القصيدة لصديقه . . منوهاً بعبارته أعلـــى الصفحة (طلبها الشيخ سيد . ولم أكملها) ؟ ..

- لعله كل ذاك . . و لعله شئ من ذاك . . و لكننا أمام شاعر يصبـــو إلى الأفضل . . ولو سألته ما هو الأفضل .. لقال لك : لا أدرى . .

ـ ٣ ـ

التاريخ و الموت بين يديها

التاريخ لشاعر . .

أما المرأة . .

فليست زوجة . . و ليست ابنة . . و ليست حبيبة بالمعنى المفهوم للحبيبة . .و ليست أماً . . أو أختاً . .

إنها فقط ابنة العم !! التي كانت منه بمثابة الابنة..

لم يكن يعلم وهو يراها لأول مرة في آخر الستينات وكان قد تجاوز الخمسين عاماً هي لم تقترب بعد من العشرين عاماً أنها ستكون بلسم حياته .

جئتني و الشباب ولي ولم يبق بنفسي سوى سراج عليل

و فؤادي الطروب ما عاد يشدُو مثلما كان في الزمان الجميل

أنا في محنة الخريف . . ولكن أنت في نشوة الربيع الظليل

وخطانا على طريقين . . هذا مستضاء . .و ذاك نهب الأفول

لم يكن يعلم أن قدره سيسعى به حتى يموت في منزلها و بين يديها . . و أن ذلك سيكون بعد ما يقرب من ثلاثين عاما . . عندما تخلو الدنيا من حوله . . تخلو من كل شيء . . و أي شيء ما عدا قلة قليلة من تلاميذه الأوفياء وعندما أصبح كومة من العظام المتهالكة ، و قد نخرها غول سرطاني أخذ طريقه الأسود إلي كل جسده ابتداء من الفص الأيمن للكبد حتى تمكن من كل أعضائه . .

كان يعلم أن القدر أسلمه إلي يدها الحانية . . التي ستفعل كل شئ و أي شئ إلا أن تشفيه . . أما هي فقد أيقنت أنها الآن تواجه مسـئولياتها الحتميـة . . فهي الآن و كعهدها معه تؤدي دورا رسمه القدر لها . . و هي تؤديه بـالحب و التفاني . . إنه دور خطير إذ هو ممزوج بخليط من الأدوار . . تجدها كـالأم في الخوف عليه . . و كالزوجة الصالحة في الاعتناء به . . و كالابنـة البـارة في التمسح بأقدامه . . و كالصديقة المخلصة عندما يفتح لها قلبه و يمنحها بعـض أسراره . . ثم كالممرضة المحترقة الدائمة السهر عند أقدام مريضها العليل . . إنها تتأمله في رقدته الغافية . . و تتذكر رحلة ثلاثـين عاما من الحب العـائلي و البهجة و العطاء . . ثم تتذكره عندما يخلو إلى نفسه و يطلق آهة حرى تنعـى وحدته . .

تذكرت من يبكي علـى فلـم أجـد علىّ سيبكي بعد موتي سوى أمي
و لكنـها مـاتت فلـم يبـق بعدهـا سوى الشعر يبكيني و يبقي على إسمي

هي تعلمْ انه ظل طوال حياته الجنتلمان . . الرشيق . . الأنيق . . و على حـد قول تلميذه سمير وهدان . . . إنه السنيور . . فارس مهذب من العصور النبيلـة بسعي بيننا كطيف جميل . . و لكنها تـراه فوق كل ذلك رجل عـاش سيداً و سيظل سيداً حتى النزع الأخير . . و انه سيرفض أن يقترب منه في محنته أحد سواها فهي الوحيدة التي ستقرأ عبوسه المتأدب إذا أحس أن الخادمة هي التي

ستقدم له كوب العصير .. ما بال لو حاولت تلك الخادمة أن تقترب منه (بالمبولة) . .

"هي تعلم أنه ظل حريصاً أن يُعلِّم أبناءها كل القيم النبيلة . . ومن هذه القيم أن تكون قوياً . . صبوراً . . شامخاً . . "

و كان قد حكى لهم كثيراً عن الشاعر أمل دنقل . . ووضّح لهم الفرق بين أن يكون هذا الشاعر جافاً كما قيل عنه . . أو قويا و صلبا كما عرفه هو . . لقد ظهرت هذه القوة و تلك الصلابة و هو على سرير المرض . . فالغول الذي يفترس أحشاءه لم ينجح في إجباره على أن يُطلق آهة ألم واحدة . . لعله كان يتأوه بينه و بين نفسه . . و لكنه أبداً لم يطلقها ذات مرة أمام أحد زائريه .. (و هذا ما رواه أيضاً صديق الشاعر عبد الرحمن الأبنودى)

و هي تعرف أن مريضها الشيخ الرقيق حرص أن يبدو صلبا . . رغم ما فيه من مرض . . و لكنها الوحيدة المسموح لها أن تستمع إلى تأوهاته . . ذلك إن عمها عبد الهادي الذي جاء من المعادى ليعوده في مرضه راق له أن يسامره طويلا و هو لا يعلم أنه يتململ من الداخل بفعل الألم . . و لما انصرف الرجل أسرع شاعرنا القوي المهذب إلى سريره ليطلق تأوهاته التي كانت حبيسة . . قال لها وددت أن افعلها أمامه . . و أخذني الخجل من أن أخجله . . فينصرف . . و كيف له أن يخجله أو يصرفه و هو رفيق الذكريات الحلوة و صنو الأيام الجميلة . . أيام أبوه العمدة الكبير . . و السرايا الفخمة . . و العز السادر حولهما ينبئ عن زمن يحيطهما بالرضا . . و أيام تبتسم لهما في نشوة . .

إذن . . فذلك الشيخ الذي خجل أن يتأوه أمام ابن عمه ليبدو قويا متماسكا صابرا . . حَرِى به ألا يفعل ذلك أمام الأولاد . . فهو يتذكر ما كان يقوله لهم عن صلابة أمل دنقل . . إذن فليروه دوما على هيئته المتماسكة رغم المرض . . و من هنا فليس(لنورا) الخجول أو(حاتم)الرقيق أن يقتربا منه (ليتساند) على أحدهما ليجلسه على الكرسي القريب من النافذة البحرية . . فلينصرف الأولاد .. و لتحضر(ابتسامة)عمره لتشاركه هذا المشوار الشاق حتى النافذة .. إنه لا يبغى أن يتنفس الهواء قدر ما يود أن يريح عظامه الهشة و لحمه اليابس من فعل (عضة) السرير . .

العض . . و النهش يا جسدي هو الشيء الذي تناله الآن ..فدعونى مع ابتهالي إلى الله ألا يهوى بي إلى جب الأ لم . .

و هي تعلم أنه رغم ما فيه لن يتخلى عن أناقته و نظافته والحرص على مظهره الجميل و عطره الفواح وارتداء الأرواب الحريرية و تهذيب رقيق لهالة شعره الفضي الناعم اللامع المنسدل هفهافا نحو أذنيه .. .

صحيح أنه لم يعد يقوى أن يرتدى ملابسه بنفسه . . بل لا يعلم أين كل ملابسه و أين زجاجة عطرة المفضل . . و لكنه واثق أنه بعد لحظات سيجد نفسه كما تحب أن تكون . . بفعل يديها الحانيتين .. بعد قليل ستفرغ من إعداد طعامه . . و ترد على التليفونات المستفسرة عن صحته . . ثم تنهي اتصالاتها بالأطباء المعالجين . . وبين لهاثها المرهق عبر ثلاثة طوابق في منزلها تدلف إلى طابقه المخصص له . . تداعبه بكلمات يسمعها منشرحا مسرورا . . يحاول أن يرد عليها بمثلها . . و تحاول هي أن تفهم ما يقول . . لقد سرى

. . و حتى لو لم تفهم ما يقول فهي قادرة بذكائها أن تجد ما يمكن أن يُقـال . . و تكون بذلك قد وهبته نعمة جزيلة يود و هو في مثل حالته أن يظل ناعمـا بها . . و هو أن يظل واثقا أنه مـا زال مفـهوما . . و أن صوتـه مـا زال مسموعا..

و عندما تبدأ رحلتها معه نحو إمتاعه بنعمة النظافة و التأنق اللتين يحبهما.. تـراه مستسلما لها كالطفل و قد ألقته أمه على السرير في مرح تداعبه و تناغيه حـتى تنتهي من خلع و تثبيت غيار جديد . . فرق وحيد أن الأم تفعل ذلك لطفلـها البريء على المكشوف . . و أختنا تفعل ذلك لشيخها المسكين الأكثر بـراءة من خلال ملاءة حاجبة . . و هي عندما تعفيه من مشقة الاسـتحمام فإنهـا استعاضت عن ذلك بلمسات حانية تغسل الجسد النحيل بماء الكولونيا الـذي تشبعت به قطع القطن الناعمة . .

– هذا هو الجلباب المغربي . . إعطني ذراعك الأيمن . . آسـفة . . لا عليك . . جعلتك تتألم . . لن أرفع لك الأيسر عاليا حتى لا تتألم مرة أخرى . . و هذا هو روبك الحريري . . و هذا هو خفك الجميل ذو الوبر الناعم . . ثم هذا هو عطرك الفواح . . أين فرشاة الشعر ؟ . . تلك هي..ما أجمل شعرك يـبـدو سيدي به لمعان الفضة و بعض اصفرار الذهـب .. هيا بنا . .

تجعل من كتفها الرقيق مسندا له . . تثنى جذعها . . ليلقي بذراعـه عليها . . ثم تفرد طولها رويداً رويداً ليرتفع معها إلى أعلى . . و عندما يقـف

بجانب السرير تتركه للحظات ليلتقط أنفاسه لاصقا جذعه بالدولاب ليستريح . . ثم يومئ لها أن تبدأ السير به نحو الصالة . . و في رحلة طويلة تصل إلي أربع أمتار يصل لاهثا إلى الكرسي الفوتيه الوثير المواجه للنافذة البحرية . . يومئ لها فاتحا كفيه على شكل كتاب . . تفهم أنه يريد المصحف . . تسرع فتحضره له من فوق الكومودينو المجاور لسريره . . يبدأ في استكمال قراءة الآيات التي توقف عندها بالأمس . . يرتل بصوت مرتفع خافت ترتجف له الأعماق . . تسرع هي لتحضر له ما يمكن أن يُشرب . . يرنو إليها من خلال مصحفه المفتوح بحب و امتنان . . تغيب قليلا داخل المطبخ . . يتذكر شيئا هاما . . يترك مصحفه على ركبتيه و يناديها بتصفيق واهن من راحتيه . . تأتي مسرعة . . فقد دربت أذنها أن تسمعه.. تسأله بهزة رأس عما يريد . .

- أنت تعبت . . أقعدي ارتاحي شويه . . أنا خايف عليكي . .

لقد فهمت ما يقول رغم عدم وضوح الكلمات ..وعندما تجلس قبالته.. تجد نفسها تحاول الهروب من تأمل هيئته المفجعة.. ولكن.. أين المفر..هذا هو عبد العليم بلبلها الشادي وطائرها المحلق وقد همد منه الجسد..وأنخرس فيه الغناء..تحاول أن توارى دمعة أسى تغالبها.. وقبل أن تنجح فى ذلك يكون قد لمح دمعتها..فيهز رأسه فى أسى..لا تدرى إن كان من أجلها..أو حزنا على نفسه.

علام تنوحين لا تحزني وخل البكاء و خلّ العنا
غداً تعزفين لحون الصفاء و ترتشفين كئوس الهنا
و تغرب أوهانك الغاشيات و يسطع حولك فيض السنا

و يأخذهما الصمت . . الذي لا يقطعه سوى همهمات مرتعشة خافتة تصـــدر عنه و هو يقرأ القرآن . . و فجأه يأخذه تساؤل قد لاح له فجأة . . يتوقـــف عن القراءة . . ينظر إليها ملياً . . ثم ينظر إلي التليفون . . تفهم أنه يتســـاءل عن السائلين عنه . . هذا هو السؤال الذي لم يسأله .. تسرع هي بـــالتوضيح

-. أنا كنت حبلّغك دلوقت . . بس انتظرت لما تخلّـــــص قراية . .

يهز لها رأسه شاكرا . . فتواصل هي . .

- فاروق جويده سأل عليك. . و أول تليفون عمله بعدما رجع مـــن فرنسا . . سألته عن العملية اللي عملها فى عـــينه . . الحمدلله نجحـــت . .

(رفع مريضنا يديه إلى السما شاكراً الله . . لنجاح عملية صديقه)

تكمل هي :

- : و بإذن الله هيطلبك تانى . .

يبتسم و يهز رأسه فى امتنان . . تتذكر سيدتنا رأى شاعرها المريض في صديقه الشاعر الرقيق فاروق جويدة . .

" فاروق إنسان . . و وفي . . و بار بأهله . . و شـــهم .

.و محسود من ناس كتير . . بس ربنا هيحفظه . . . "

- و الأستاذ الدكتور عبد العزيز شرف . . طلبك . . و كنت نـــايم .

.قال أنه برضه هيكلمك تاني . . قعد يسألني عليك كتير . .

يهز رأسه فى امتنان و يتمتم بكلمات تبدو من إشارات يده المصاحبة أنها تحمل أمنية ما . . و تفهم سيدتنا ما يقوله . .

" و أنا نفسي أسمع صوته "

" فيما بعد استطاعت أن تلبي رغبته و تحقق له رغبة الاستماع إلى صوت صديقه الوفي فى مكالمة طويلة كان هو فيها مستمعاً . . يهز رأسه فى اهتمام و يتمتم بكلمات خفيفة . . و يبدو أنه كان حريصا ألا يلقي بجملة طويلة . . فالكلمات تتكسر عند شفتيه . . و تخرج مرعوشة . . مشوشة . . غامضة . . ثم تنهد بارتياح بعد سماع صوت صديقه . . و كأنه يعلم أنها آخر مكالمة بينهما ". .

و تعود إلى تقريرها . .

- و الدكتور عبد اللطيف عبد الحليم . . أبو همام . . متأثر جداً . .

هذا ما قالته فى اختصار . . لم تقل له إن الدكتور عبد اللطيف بكى بكاء حاراً عندما علم بهذا التردي المخيف في صحة صديقه . . لم يصدق أن عبد العليم الخفيف كريشة . . الوثاب كغزال -حتى فى شيخوخته- لم يعد يقوى على السير . وهو الذي كان يحب أن يقطع الطريق من ميدان التحرير إلى مترله بجوار مستشفى أحمد ماهر ذهابا و عودة خاصة عندما يعود متأخرا فى الليل الهادئ بعد سهرة رائقة مع صحبته الأثيرة . . بكى أبو همام على صديقه لأنه لم يعد يقوى على تناول الطعام . . بل أنه عافه أو يكاد . . و هو الذي كان يضع الطعام الفاخر في النعم الإلهية السامية . .فكم مَدَّ الموائد و المآدب ومُدَّت له مثلها . . أما بكاء أبو همام فقد زادت حرارته عندما عرف إن صديقه لن

يحدثه لأنه لم يعد يقوي على الكلام . . " و أين ما كان يأخذ بناصية القلوب من حديثك يا رجل ؟"

مضى زمني الجميل ولم يعد لي — وهل زمن يمر بمستعاد

وها أنذا أساهر صمت ليلي — وأعتسف الدجى من غير هاد

وأبحر في الرياح بلا شراعٍ — وحولي قد تربّد كل باد

سمع مريضنا اسم صديقه أبو همام. . فتهلل وجهه . . و راح يهز رأسه فى امتنان . . صحيح إن مريضنا صار أسير المرض . . و الألم . . و السرير . . والمقعد . . ولكنه فى رقدته يطوف الدنيا بخياله . . فهذا ما يملكه و لا حجر عليه فيه . . لقد تذكر ما كتبه عنه أبو همام فى مقدمة ديوان أعماله الكاملة . .

(هذا الديوان لعبد العليم عيسى خصب . . لشاعر يتأمل بوجدانه كل القضايا الإنسانية و الكونية . . يعرف حدود القول و يحتشد له . . و هو من الشعراء القلائل الذين ينهضون حجة على نهضة الشعر فى الزمن الأخير . . حيث تتخطفه عناصر الإخفاق . . و هو من القلائل الذين سوف يقف عندهم تاريخ الأدب . . حيث يجد عندهم الطريقة التي ينبغي أن تكون مثلاً جيداً للتجديد فى الفكر و فى التعبير . . و مثلا صالحا لاستجابة الشكل الموزون المقفى لأغراض القول دون أن يقع صاحبنا فيما وقع فيه غيره من أصحاب الوزن و القافية من خطابة زاعقة . . ورصف غير حسن. . وتدليس فى المشاعر . . و إنا لمغتبطون لشاعر كبير يقدمه شعره دون تقديم)

كانت قد احترمت صمته . . و شروده . . و توقفت عندما لمحت دمعة خفيفة بدأت تلمع في مآقيه . . ثم واصلت تقريرها :

- و المهندس / أحمد

و هز رأسه متسائلا . . فأكملت:

- . . . ماضي . . .و . . المهندس محمد البهى . .

(الأول تلميذه الذي التقي به في أوائل الستينات بثانوية كفر الشيخ و الثاني تلميذه الذي تعرف عليه في أوائل الخمسينات بثانوية القناطر الخيرية . . كلاهما أحب أستاذه و تعلق به وظلا على نفس الحب و الارتباط طوال هذا العمر . . أحبا الأدب و الشعر . . و عملا بالهندسة . . و لم يمارسا مع أستاذهما هذا النوع من التفريط و الهجر الذي يمارسه آلاف التلاميذ مع مئات المدرسين عندما تنتهي العلاقة التي تحكمهم وقتيا . . في فصول الدراسة . .)

عادت فأكملت . .

- المهندس / أحمد عايز يزورك تاني ..

همس لها . .

- يِشَرَّف . .

و لأنها تعلم مدى الحب الذي يربطهما . . عقبت على ترحيبه قائلة . .

- يمكن يجي بعد بكرة

قرأت سرورا بدا على وجهه . . و تذكرت آخر زيارة قام بها تلميذه هذا منذ أسبوع مضى . . كان قد آثر أن يحضر في نفس اليوم المضروب كموعد يزوره فيه صديقه السعودي الأثير الشيخ عبد الحميد مِشْخِصْ . . و برفقته الأستاذ منير طابع دواوينه المخلص . . وسكرتيره الخاص ..

فى هذا اليــوم لم تمنعه غيبوبته التي تعاوده فى مد و جزر مؤلمــين أن
يحرص على الجلوس إليهم . . و يطمئن على مائدة طعام حافلة أعُدت لهــم . .
إلا إن الإعياء قد خذله فتلوى على مقعده أمامهم . . نصحوه و نصحوهــا أن
تنقله إلى الفراش . . و فى فراشه أخذته غفوة طويلة كان من شأنها أن أطــالت
جلوسهم حوله و قد تملكهم الخوف أن تكون تلك هي النهاية. . وتمنــــوا أن
يفيق مريضهم و لو للحظات ينظر فيها بعيونه الكليلة الى وجوهــــهم الدامعــة
ليودعوه ثم ينصرفون . . و عندما طال بهم اليأس و الانتظار سافروا فى جــوف
الليل . . و فى قلوبهم حسرة .. و غاص كل واحد منهم فى مقعد بالســيارة . .
ثم سرح أحمد مبحراً فى ذكراه معه . .

و أقصــى مــا يصيبــك رزء إلــف	و أنــت تغــز ســيرك للمــعاد
أتلــك نــهايتي . . شجني وفقــدي	مُنيَّ . . كانت علــى الدنيا سنادى
برغمــي أشتــكى و أبيــح مــا بــي	لعـل البــوح يمنحــني صـــمادى

أحمد الغائص مثلهم فى مقعده حزينا فى السيارة التي تنهب بهم الليل و الطريق ،
أخذته ذكرى أيامه التي مضت . .ثم أخذه سوء الحال الذي صار عليه أستاذه .
. هاله أن يجده قد كتب نعيه بنفسه فى نصف ورقه مسطوره بخط جميــــل . .
احتفظت بها إبنه العم فى قاع حقيبتها . . تناولها منها فى ذهـــول .. و قرأهــا
بعيون دامعة . . كلمات بسيطة فى نعى محدود السطور خالٍ من بهرجة الأسمــاء
و اللهاث خلف لمعان الشهرة و الرتب و المناصب و قوائــم العــائلات .. ثم
قالت السيدة على لسانه ما أوصاها به من أن يضرب له سرادق بسيط للغايـــة

بجانب دوار العمدة . . موصيا باسم مقرئ معين من المنطقة.. أما قــبره فلــم يقترب من الحديث عنه..رغم أنه كان يطارد الموت بأشعاره كلما لاح له ذلك:

نفسي تخاف الدواهي وهي باعدة فكيف لي و أنــا منـها علـى كثـب
لم يبـق مـن رحلـتي إلا نهايتـها و بعدهـا أنا مـاض نحـو منقلـبي

* * * * * * * * *

تذكَّرت أنــي بعـد حـين سأنتهي ويخمـد إحساس و تبلـى مشـاعري
و أنـي مهما صَعَّدت بـي مواهـبي سـتهوى بـي الأيـام بـين الحفـائر

* * * * * * * * *

آه مـن المـوت كـم يُطمي فرائســه ولا يـــرق لبـــالٍ أو لمرتعـــد

* * * * * * * * *

أيـها الزائـر الأخـير علـى الرحــ ـب تقــدم وضــمَّ صــدري اليكــا
لــن تراني إذا أتيــت جزوعــا أتوقــىَّ الســهام في عينيكـــا

* * * * * * * * *

و بالفعل لم تجده (ابتسام) جزوعاً عندما أتاه قدره.. فقد كان آخر ما ألقاه عليها قبل الموت ابتسامة حنون و ..نظرة امتنان .. ظنته يلقيها إلى أحد الداخلين.. وما أن نظرت خلفها مستطلعة .. وعادت إليه تحدثه وجدته قد فارق الحياة.. لحظة سريعة قدرها إيماءة رأس .. وأخذته بين يديها فى بكاء حار... بكاء .. مازال متصلاً.. حتى اليوم ..

(٤)

المنطقة العذراء من نفسه

و مزيد من القصاصات الغريبة المتنوعة.. يكفي أن نطل عليها لنجد أنها إطلالة دهشة..هذا الرجل ما الذي يسكن عقله ؟..الحب.. أم الشعر.. أم السياسة.. أم التأمل.. أم الأصدقاء..أم قضايا المجتمع..وإذا كان يسكن كل هذه البيوت ؟..فكيف كان يوزع نفسه عليها؟.. ترى ؟.. هل أضرب عن الزواج لأنه قد تزوج بكل هذه الحيوات ؟.. هل كان أنانياً لم يشأ أن يعطي نفسه لامرأة واحدة و هو الذي يرى نفسه متمتعاً و شغوفاً و سعيداً بصالونه المليء بالشعر و الفن و السياسة و الصحبة الجميلة ؟ ربما قال له قائل : أين الله..؟.. أيناه فى عقلك ..لا ندرى بماذا أجاب.. و لكن من المؤكد أنه عندما أنتزع هذه القصاصة بعناية من مجلة ما..فأنها كانت تحمل بعض إجابته ..و إن كانت الإجابة قد جاءت على لسان عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين.. في مربع يحمل صورته تحت عنوان (كلمات عاشت).. إذ تقول الكلمات (دع عنك العلم عندما تفكر فى الله . الله موجود في منطقة عذراء من نفسك.. فلا يخدعك العلم.. و إن شئت فقل ترهات العلم..)

لقد أشار طه حسين بأصابع عبقرية إلى مناطق كثيرة كانت مجهولة في نفوسنا . و لكن أحد هذه الأصابع أشار لعبد العليم عيسى إلى المنطقة العذراء التي فى نفسه . . و التي يسكنها الله . . تلك المنطقة التي حاول أن يمسك بيد عمه الشيخ عبد المولى عيسى العالم الفقيه الزاهد ليقول له يا عمي أنا لا أعرف الله

فقط ولكني أحسه و أعيشه فهو يسكنني و إن كان هناك تقصير من أحيانــاً في الطقوس فلأنكم لا تستطيعون الاطلاع و قراءة خفايا النفوس . .

أنا أقرب واحد فيكم إلى الله . . يسرني أنك تضع الصلاة في حياتك و حيــاة أبناءك و بناتك قبل الطعام و الشراب . . . و لا يضحكني أنك تجعل إحـــدى غرف منزلك مُصلى تؤم فيها أبناءك و بناتك . . و لا يؤلمني أنك توقظهم مـــن سلطنة النوم في فجر الشتاء ليصلون . . و لكن أخشى أن يأخذ هذا المســـلك طبيعة العادة فيفقدون التأمل العميق في الملكوت . .

و عندما ينتهي الشيخ عبد المولى عيسى من دعواته و ابتهالاته و من بينها دعـوة حارة لابن أخيه بالهداية .. تقع بين يديه هذه القصيدة التي يناجي فيها ابن أخيه ربه بالشعر..

بي حنين إليك

حرت في مذهبي فجئتك فامنحني	هـدى النفـس و انكشاف الضبــاب
انت تدري فليس يجديك أن افشي	ســــري و أن أبيـــح عـــذابي
كـلما قـلت فـي غـدٍ ستدانيني	أتـانـي غـــدي بأضـعاف مـا بـي
أنـــا عنـــك مبـــعد و لمـــاذا	وأنـــا دائمـــا إليـــك اقتـــرابي
ها كتابي . . فهل تراني أدمنت	الخـطايا و جـزت حـد الصـواب؟
ربمـا انقـدت للخـطيئة فـي يـو	م ولكــــن نســــختها بمتابــــى
أنـا مــن نطفــة كتبــت عليهـــا	منــذ كــانت منـــازعي و رغـــابي
فـإذا كنــت قــد ضعفــت فإنــي	قـد أطعت المكتوب طيّ الكتاب
أنـــا ســـيارة تســــير وفيهـــا	كـل أسـلافي تـحت هـذا التـراب

بــي منــهم مــن الطــبائع أشــتا ت تســرّبن فــي مــدى الأحقـــاب

لم اختــيّر ولــو تخــيرت لأختـــر ت صلاحي وما شكوت اضطرابــي

فاعــنّي ولا تــكلني إلــى نفســي وحســـبي توحـــدي واغـــترابي

وشــجون المســـاء والأمــل الــذا بــل والــرعب فــي فيــافي اليبــاب

بــي حنــين إليـــك يلفــح أنفــا ســي ويذكــي ظمـــاءتي ولُهابــى

فتكــرم بالوصـــل حتــى الاقيـــك وقلـــبي يشـــدو أغـــاني الربـــاب

الشيخ عبد المولى منهول . .

فوالله انه لابتهال يجيء من أعماق قلب لا يعرف إلا الإيمان و أغوار نفـــسٍ لا تعرف إلا اليقين . . كل ما هناك أننا لا نستطيع أن نجهر به فوق منبر . . فـهو ابتهال لم نقرأه فى كتاب . . و دعاء لم نحفظه من الكتب الصفراء . . و لـــو قيل لإمام أيا كانت قدرته فى الخطابه دعك من الدعوات المحفوظة و سجل لنـا دعاء من صنعك تُلقيه علينا من باب التجديد و من قبيل الفصاحة . . لأعيتـه الكلمات و تلعثم . . ليس لانه لا يحس الله . . و لكن لان أعماقه لم تـدرب على هذا التأمل العميق ، و الانصهار المضني ، و لم يجرب الشك حتى يصـل إلى اليقين . . لم يجرب ربما لسعة الخطأ . . ثم برد الاستتابة . . لم يحدث ربـه فى ظلمة الليل لائما . . " يا رب لماذا تخطف منا نعمات تلك الزهرة الجميلـة ؟ لماذا لم تتركها لنا ؟ يا رب لم تكافئ (نسمات)بهذا المرض العضال الذي أشاع الذبول فى أطرافها لتجلس على كرسى متحرك و هي البنت الثانية الرقيقة مـن حقل عمى عبد المولى المزدهر . . يا رب لماذا لم تجعلها و هي فى ربيع العمـر

ممنأ بشبابها و تثب وثبا في بستان الحياة فرحة مغتبطة بفارسها الوسيم .. لماذا يا رب خطفت مني حبيبتي ليأتيني خبرها بعد ساعات قليلة من لقاء معها كان مفعما بالحب و الأمل و الرجاء و تبادل الوعود أن نعيش بالحب حتى الثمالة وإلى أن يفرق بيننا الموت . . و ها أنا يا رب أعيش بعدها ميت يتحرك بين الأحياء . . يا رب لماذا جعلتني ثمرة زواج مبكر بين محام شاب و فتاة كانت لا تعرف ما هو الزواج . . ؟ لماذا بعد ولادتي يذهب ثلاثتنا كل في واد ؟ . . لماذا تتوه مني طفولتي و أقاسي الوحدة مغتربا منذ السابعة إلا من نظرات يلقيها على أبي بين الحين و الحين . . ؟ . . يا رب أنني ألومك بيني و بين نفسي . . مع دموعي التي تنهمر . . و صدري الذي يلم به الضيق و الكدر . . ثم أعود فأستغفرك . . . لتخطف مني بعدها عزيز لدى . . فأعود إلى اللوم . . ثم الاستغفار . .

ها هو الشيخ عبد المولى عيسى يحبك نظارته السميكة حول عينيه و يعيد قراءة قصيدة أخرى يناجي فيها ابن أخيه ربه في ابتهال تقشعر له الأبدان . . و تطفر الدموع من عينيه . . و يقول لنفسه " و الله يا ابن أخي إني لأعلم انك أقربنا إلى الله . . فأنت تغيث الملهوف . . و تعين الضعيف . . و تكرم الضيف . . و تؤثر حاجة الناس على حاجتك . . لا تكذب . . و لا تفعل الفاحشة . . تحب الناس . . و أنت دوما هاشا باشا في وجوههم مهما كان في صدرك من كآبة الملل و قتامة الغثيان . . لا أحد يعلم ما يضطرب في صدرك من تمزق بين آمالك و دوافعك . . بين أحلامك و ضياعك منذ أن ماتت فتاتك .. وتمزق أمام عيونك الصغيرة رباط الأسرة الذي ما كان له أن ينفصم

آه لو لم يأخذك الغضب من حين لآخر..و آه لو لم تستغرقك كتب الفلاسفة الحمقاء..وتتوه بين ديكارت..و هيجل..و ماركس..و داروين..ما بالك يا أبن أخي تبحث عن شئ غير موجود أمام نظرك.. ؟ و ما بالك تهرب من شئ لا تراه..؟.. هيه يه يه..الشكوى لله!!" و يعيد الشيخ حبْك نظارته ليقرأ!

ابتهال

تركتني لرياح الشك تعصف بي — وكم دعوتك تنقذني فلم تُجب

وأنت تعلم إني ما عمدتُ إلى — تلك الغمائم من ظن و من ريب

ما باختياري اعتساف الوعر مرتجفا — وكيف أختار أحزاني و مضطربيّ

وجدت نفسي على بيداء جافية — لا أنسى فيها سوى الأهوال و الرّهب

كأنما حرُّها صهد الجحيم على — وجهي و رملتها سيل من اللهب

تجيش فيها الرياح الهوج زائرة — تؤج زفرتها من فورة الغضب

لكم نشدت نجاتي من غوائلها — فلم تجرني و لكن شئت لي و صّبي

و ما جنحت إلي إثم فتخذلني — و ما انحدرت إلى لغو و لا كذب

و ما رفعت ثياب الحب في زمن — فيه تخرّق ثوب الحب و الحدب

لا تتركني وحيدا في مجاهلها — رهبان كل نواحيها تغرر بي

نفسي تخاف الدواهي و هي باعدة — فكيف بي و أنا منها على كثب

لم يبق من رحلتي إلا نهايتها — و بعدها أنا ماض نحو منقلبي

فكيف آتيك أوتارا معطلة — عصيّة اللحن من ضيق و من كُرب

و كيف أطرق بابا كم وقفت به — جهدان أوصدته دوني بلا سبب

و ليس لي مأمن أرجو حمايته — و ليس لي مهرب إن لذت بالهرب

يديك فأكشف ظنوني واجل غاشيتي — و لا تكلني إلى الأوهام و النصب

يديك فاردد إلى قلبي نضارته — تصدح معازفه من نشوة الطرب

أحيانا تقف في صحراء موحشة لا يؤنسك فيها سوى الخوف و الذعر . . حرها كصهد الجحيم على وجهك و رمالها سيول من اللهب . . تعصف حولك الرياح الهوجاء بزئيرها الموحش تنفث الغضب في زفير مؤجج . . و أنت تحاول أن تنجو من تلك الغيلان التي تحيق بك . . و تطلب من الله الجور . . فلم يجرك . . و كأنه عز وعلا شاء لك تلك المتاعب النفسية .

أنك تملك ما تقدمه إلى الله ليرضى عنك . . فأنت لم تقدم الى إثم يخزيك أمام الله.. و أنت لم تقع في خطأ النميمة و الكذب حتى تقف مخذولا أمام الله . . و أنت عرفت الحب و العطف و الود و أعطيتهم لمن حولك في زمن عز فيه ذلك على الناس . . عز فيه ذلك على الطالب و المطلوب . .

و لكنك يا أبن أخي لا تلبث أن يعصف بك الشك . . و تأخذك الريب . . و تطرح أمام الله تساؤلات ما أسهل أن تجد إجاباتها بألف دليل تستطيع أن تلتقطه نفسك الشاعرة . .تلك النفس التي عذبتك و ما زالت تعذبك . . بمثل هذا السوال :

ويكربني حشد من الناس جائع	ليأليه دمع ساخن و تبرم
يبيت الليالي مستجيرا بربه	ليرحمه . . لكنه ليس يرحم
و من حوله ناس تعب كؤوسها	و تشدو الاحين المنى و تُنغم
إذا سئلت شيئا من الفضل أغيمت	كأن بها سوءا يُمض و يؤلم
إذا كنت يا رب الحياة وهبتنا	لدنيا عليها كل شئ مقسم
علام إذن ميزت بين وجودنا	فأتخم مكسوٌ وجاع مردَم ؟

شيئ بسيط يا ابن أخي عرفناه و حرصنا عليه في بديهيات العقيدة . .

و هو أن تدع عنك سؤالين : متى الموت ؟ . . و كم الـــرزق ؟.. " لا تعلـــم نفس ماذا تكسب غداً . . و لا تعلم نفس بأي أرضٍ تموت . . ". . و لكنـــها صرخة الشاعر . . إذا أمكه التأمل . . و فشل في إصلاح الدنيا . . و ما هـــو بمصلحها . . لكم تبدو مثل هذه الصرخة مضحكة من فرط حزنها . . و لكـــم تبدو خارجة عن إطار العقل لانه لا عقل يستوعب إرادة الله و حكمته . .

و يتذكر الشيخ الجليل أن شاعره أطلق صرخته المتسائلة و هو لا يعني بها نفسه . . فهو لم يجرب الجوع و الحرمان و السغب . . و لكنه أطلقها مـــن أجل الجوعى المحرومين الذين يروا حولهم أثرياء يعبون الكئوس و يبخلون عليهم ببعض فضلهم . . و يتمتم الشيخ الجليل :

إذن فعليك بهؤلاء يا شاعرنا المتألم . . فوالله إن هذا الكوكب البائس لحـري أن ينجو من بؤسه لو قدم أصحاب الفضل فضلهم .. و تعلـــم الأثريـــاء كيـــف ينفقون في سبيل الله بيمينهم ما لم تعرفه شمالهم . .

ثم يعود الشيخ الجليل فيتذكر ان ابن أخيه عندما أهداه نسخه مـــن ديوانه الأول (ألحان ملتهبة) عام ١٩٥٤ . . أكتشف ان شاعره الشاب إنمـــا أهدى روح الديوان و صلبه و كبده :

" إلي الشرفاء .. الذين يعيشون للخير . . و المحبة. . و تجميل الحياة "

آه أيها الشعراء . .

و أنت منهم يا ابن أخي . .

الله أقرب إليكم من حبل الوريد . . تتسامى نفوسكم فتسعى إليه شاكية من طوب الأرض .. فها هو أحدكم أستبد به البؤس و قض مضجعه الفقر فلم يجد سوى ربه ليطلق أمامه ـ عز وجل ـ صرخة مدوية . . بائسة حزينة . . لكنها من فرط حزنها جلبت ابتسامة بها الإشفاق و الإنكار . . انه الشاعر عبد الحميد الديب الذي يتساءل :

أخلقتنى يا رب . . أم أنا واهم ؟ . .

ثم يقرر :

أنا ما خلقت . . لأنني لا أرزق . .

استغفر الله .. و مع هذا فأعذب الشعر أكذبه . .وأغربه

* * * * * * * * * * * *

(٥)

بعض المراسلات

- الأصدقاء
- الشعراء
- الحبيبات
- التلاميذ

أصدقاء الزمان الجميل

مقاطع من خطاباتهم إليه :

طاهر أبو فاشا : (١٩٦٩/٩/١٩)

. . . .

لقد زرت الأخ (. . . . . .) محافظ (. . . . . . .) السابق و هـــو شيخ أديب أريب . . فأعطيته حبه من الدواء الذي حملته إلينا . . فما كـــادت تمرثها هاضمتة حتى قامت قيامته . . و عادت إليه عافيتــــه . . فأرســـل إلى فى طلب بضع حبيبات من هذا الأكسير العجيب . . و أنت لا تعرف مكانتــــه عندي . . و لو أنك كنت معنا و جلست إليه و سمعت منه لفتنت به .
و قد وعدته أن أحضر له علباء . . و ذَكرْتك عنده بإحساسي أنا بك .
فهل تتأكرم و تتفضل بالتنازل عن أسلوبك العيسوى و ترسل الى محولا بالبريد علباءين إحداهما له . . و الأخرى لي .

إنك أن تفعل فما تلك بأولى حسناتكم يا آل أبي بكر

طاهر أبو فاشا

من المهدى مصطفى (١٩٧٢/٤/٦)

. . . .

سهرنا الليلة فى مترل مخيمر .. الشلة بكاملها .. و قد ضحكت حتى كاد قلبي أن يقف و مخيمر يصور لى لقائه بالأستاذ عبد المنعم عباس . . قال: كنت قبلها بيومين خالي الجيب و البيت و كنت فى حالـه نكسة صحية و إذا بالأستاذ عبد المنعم يزورني مع رفقى الفطايرى و ظننت أول الأمر أنها مجرد زيارة و سألته عن أخبار عبد العليم(فى الكويت) فقال :أنا جايب لك أخباره . . هو كلفنى أن أقدم لك هذا المبلغ من الدين الذي عنده لك . . و فى ربع ثانية كنت أقبض على المبلغ و أقول له : مفيش لزوم . . فقال الأستاذ عبد المنعم : والله يا أستاذ مخيمر أنا لو أعرف المبلغ الذي طرف الأستاذ عبد العليم لك لدفعته كله . . فقال لى مخيمر يا سيدي متشكر جداً . . فعاد الأستاذ عبد المنعم يقسم بأنه مستعد لدفع الدين كله . . فقال له لمخيمر : و الله يعنى إذا كان الأمر كذلك . . و سيادتك مُصِر أقول لك إن عبد العليم مدين لى بمبلغ ألف جنيه . . فأسقط فى يد الأستاذ عبد المنعم و لم يسعه إلا الاستغراق فى الضحك .

المهـــدي

تنويه :

فى الوقت الذي كان فيه أحمد مخيمر (خالى الجيب و البيت) كان عـــبد الحليـــم حافظ يشدو بأغنية من تأليفه (قصيدة يا مالكا القلبى) بعد أن سطا على كلماتهـــا أحد الأمراء العـــرب مُهدياً عبد الحليم سيارة فاخرة . امتنانا لشدوه بكلماتـــه !!!
وحكى لي المرحوم الشاعر عبد العليم عيسى . . أن هناك من نصح السيدة أم كلثـوم بالحصول على كلمات من الشاعر أحمد مخيمر . . فاتصلت به . . و طلبـــت منـــه قصيدة . . فأرسل إليها إحدى قصائده بعد فترة . . و بعد أيام عـــادت الســيدة أم كلثوم للاتصال به ليقرأ معها القصيدة و يتناقشان فى أبياتها . . و من المعـــروف أن سيدة الغناء العربي تلجأ أحيانا لتعديل بعض كلمات الشعراء بعد الرجـــوع إليـــهم مستهدفة سهولة النطق أحيانا . . أو سهولة المعنى أحيانـــاً أخـــرى . . و يبـــدو أن محاولتها لإجراء ذلك فى قصيدة أحمد مخيمر جعله عصبيا إذ يجـــب (فى نظـــره) أن تلتزم هي بكل كلماته . . من منطلق أن هذا (مش شُغلك) فما كان من أم كلثـوم بكل ما بها من صبر و تأن إلا أن توقف الحوار معه .. و تصرف النظر عن الغناء لـه. و صار التندر معه أو عليه يدور حول أنه (غاوى فقر . .) و لكنه لم يندم . . بـــل اعتبر نفسه قد فعل الشيء الصحيح . .

* * * * * *

من طاهر أبو فاشا : ١٩٦٩/٤/١٨

٢٤ شارع مصنع الطرابيش . العباسية الشرقية

. . . .

كنت وشيكا أن أحدثك عن نفسي بعد إحالتي للمعاش . . انه لشئ مزعــج ان يجد الواحد منا نفسه فى هذه السن . . مع فتور الهمة . . و ثقــل الكــبر . . مضطراً إلى العمل و الكد . . هذا . . أو الهبوط بمستوى معيشـــة الأولاد . . و دون ذلك خرط القتاد . . و أنا لا أحب أن أخرطه . . فكيف و أنا أريـــق من حر مالي صبابةً أراها تنقص باستمرار . . و أخشى أن تنفـــذ و فى العمـــر بقية؟ . و كانت الإذاعة تعتز بى كاتباً إذاعياً . .و كانت ترسل لى خطابـــات التكليف فى الفينه بعد الفينة . . فأمسكت عن ذلك بحجة ضعف الميزانيــــة و هزالها . . و هو كلام لا يساوى الرد عليه . . لأن الإنتاج و إن قـــل فإنـــه لم يتوقف . . و لكن الموازين تغيرت. . فلم تعد جودة النـــص جـــوازاً لمـــرور النصوص . .أصبح على الفنان أن يدفع أو يقبع . . و تجـــوع الحـــرة . . و لا تأكل بثدييها . . هذه هي المأساة . . و لا حول و لا قوة إلا بالله

طـــاهر أبـــو فاشـــا

منه إلى ابنة العم ابتسام في ١٩٧٣/٢/١٨

لقد حجزت اليوم سيارة فى آخر لحظة فقد كنت متردداً لأسباب و هي :

١) ان السيارة بالنسبة لي قيد.. و أنا بحكم تكويني أكره أي قيد على حريتي ما دامت هذه الحرية لا تؤذى أحداً .. و أستغلها فى تطوير نفسي . . و ذهني وإنعاش مباهج قلبي.

٢) و أنني بحكم نزعتي الفنية كثير السياحة فى عوالم بعيدة غير منظورة . . و قيادة السيارة تتطلب الارتباط بالمنظور . . و مراقبة الواقع . . و إدمان الحذر و الحيطة لتفادى الخطر .

٣) إنني وحيد خفيف الحمل فليس لي زوجه ولا أولاد يطالبني الواجب أن أرفه عنهم دائماً.. ولكنني رددت على هذه الأسباب بأن الوقوف و انتظار التاكسي قيد أيضاً..و أن الخوف من الخطر سيجبرني على ان أحيا على الأرض و أنا أقود السيارة و ان الله قد يهديني و أتزوج و انجب . . ثم قمت على الفور و سحبت من البنك ٦٠٠ جم و عشرة و هو المبلغ اللازم لحجز السيارة و سيقوم العقل الإلكتروني بفرز أسماء الحاجزين ليحدد ميعاد تسليم كل منهم . . و عند تسليم السيارة يدفع الباقي و قدرة ١٤٠٠ جم ..

عبد العليم عيسى

من المهدى مصطفى فى ١٩٨٠/٤/٨

. . . .

تجد طي هذا قصيدة (نزار) التي حدثتك عنها . . و رأيي فيـها أنهـا جيـدة بالقياس إلى التي يقول فيها :

لماذا قبلت المجيء الينا   ومثلك كان كثيراً علينا

إلا أنها ليست ممتازة رغم الجدة فى صياغتها . . و معها قصيدة أخرى لـه أرق و أجمل . . و معها رأى العقاد فى الشعر الحديـث . . و هـو رأى جديـر بالاحترام . و لعلك تقرأ فى مجلة (الدوحة) لهذا الشهر رأى (الجواهـرى) فى الشعر الحديث . . و هو أكثر تشدداً من رأى العقاد على ما بين الرجلين مـن تباين فكرى بل من تضاد . . و أنا بطبيعة الحال أومن بالتجديد فى القوالـب الشعرية و الفنية عموما . . و لكن لابد أن يكون ذلك على يد شاعر عبقـري رائد يعبد طريقا جديداً لا يجرد الشعر من موسيقاه التي هي جوهره . . أما مـا يكتب الآن مما يسمونه شعراً حديثاً فلا يزيد عن كونه نثراً بعـضه نثر جيـد و بعضه ردئ هابط و بعضه شعوذة و مراهقة . .

من إحدى الحبيبات :

. . . .

حين أكاشفك بسرٍ يعذبني أتخوف منه عندما يستحيل اللقاء . . و يزداد الغموض الغموض و لا أجد تفسيراً أو دليلاً . .

تهاجمني آلام مجهولة . . و أحزان غامضة و خواطر شريرة منها هذا الاحتمال الخبيث . . أحكي لك .

استعرض هذا الموقف و أحزن . . كيف باحت لك نفسي بكل صدقها . . و اعترفت لك بكل ضعفها . . استرجع هذه اللحظات و أحزن ندماً . . فلا زالت الأيام يا عبد العليم تغتال خيالي . .و تطعن كبريائي و أحلامي . .احتمال يحرقني . . و يفحم الحياة من حولي . . أردت منك أن تنقذني منه . . فغضبت .. لا . .لا تغضب . . ما قصدت غضبك قط . . و أنا آسفة لك . . و لنفسي . . دع الغضب . . اتركه لي . . فأنا التي استحقه .و لا تنسى يا عبد العليم بأني المرأة التي لا تفرغ منك روحاً و فكراً و إحساساً . .

عبد العليم : هل يبكى الغريق ؟

و على من ينادى ؟

وحده يلاطم الأمواج حتى تصرعه . .

و أنا فى البحر يا عبد العليم

١٩٨٤/٩/ ١٠

(س)

تـعـلـيــــق :

فى ملحق الوثائق و الأوراق توجد صورة ضوئية لخطاب من إحدى الحبيبـــات وضعته بتعليق خفيف . . و بخط كاتبته . . موضحاً أنه قد مضى على ذلـــك خمسين عاماً (الدول تفرج عن وثائقها بعد عشرين أو ثلاثين أو خمسين عـــام على الأكثر)..و قد اخترته لما به من رقة و عذوبة و شاعرية ..

و فى خطاب الحبيبة الأخير المؤرخ فى ١٩٨٤/٩/١٠ تســـتطيع أن تلمـــح أن شاعرنا كان فى السابعة و الستين . . و تستطيع أن تلمح أنه و مـــن خـــلال حديث(حبيبته) فى موقف الصد . . أو مرتدياً ثوبه الحقيقي كشيخ وقـــور . . لم يفتح قلبه على مصراعيه– و فى هذا السن –لكل من تريد أن تطرقه بحـــب صادق أو بنوع من حنان البُنوة الذي لم تحسن ترجمته .

و لكن صاحبتنا هنا تناديه أن ينقذها من الغرق ؟ . . فبالله عليكم . . كيف له و هو الغريق فى سنه الطاعن .. أن يجد لها وقتا أو مزاحاً ؟. . كيف له أن يجد لها عاطفة للحب؟ . . و قد اتجهت عاطفته نحو الابتهال إلى الله . . و لكنه مـــع هذا كان يلمس مشاعرها بحب الأب و يهدهد إحساسها بحنـــو الشـــيوخ .. باحترام . . و أدب شديدين . .دون أن تشعر بالمهانة ..

من الشاعر احمد مخيمر (بتاريخ ٩/١٠/١٩٦٦)

اخي عبد العليم

يوسفني أن اكتب إليك أول ما أكتب على ما أظن ، وفى نفسي من المرارة شئ كثير . . . كثير إلى درجة أنني أصبحت اشعر أن الخيط الذي يربطني بالأصدقاء و بالناس قد انقطع ،و ان وصله من جديد أصبح مستحيلا . . . ان روح السماحة التي كانت تتشعب فى مشاعري جميعا و التي دفعتني يوما ما إلى ان أقول :

احب جميع الناس.. حتى كانهم	***عدوا وصحبا اخوةٌ لي من امي***
اصافح من القى . . و أدعو صغيرهم	**أخي ..و من طالت به السنُّ.. يا عميّ**

هذه الروح قد غمرتها المرارة التي فى نفسي ... و يخيل إلى انها قد غرقت فيها ..و انها لن تعود إلى نفسي إلا كما يعود الذي يموت الى الحياة من جديد . . و هيهات ...

لست أكتم عنك أنني اليوم أحسست بصدق ما رميتني به من قبل .. حين قلت إنني أعامل الناس كما أراهم أنا لا كما هم فى الواقع ...و هذا فى الحقيقة هو سر الشقاء .. و نتيجته هذه المرارة التي لا أحس بها فى نفسي فحسب بل و فى حلقي أيضا . .

و حين أستعرض فى خيالي صور الأصدقاء واحداً ..واحداً .. و أستعرض كلماتهم الخادعة ،و نفوسهم المزيفة .. و ألاعيبهم الهابطة أشعر شعوراً عميقاً أن ما قلته أخيراً فى إحدى المناسبات إنما ينطبق عليهم كلهم . .

تكشفت الضمائر عن مخاز	مقنعة بأقنعة الرياءِ
وكانت غلطتي .. أني نبيٌّ	وأني خلتهمْ كالأنبياءِ
ولو أني استطعت لكنتُ ذئبا	وكنت أمنت غدر الأوفياءِ

و لكن لا أستطيع_ أيها الصديق _أن أكون ذئبا و لا أستطيع أيضا ان أقاوم غدر الأوفياء . . و كل ما أستطيعه اليوم أن أغلق دون الناس باب نفسي الى أن يتاح لى ان اغلق باب دارى أيضا ...

أما بعد ...

فقد كتبت إليك هذه السطور .. و قد كنت أراك أول أصدقائي . . و أنت اليوم آخر من أودع منهم ... و أنا متجه بكل أحزاني إلى غابتي المنسية ... بعيدا عن الناس ... بعيدا عن الحياة ... بعيدا عن الشر الذي يسيطر على كل شئ ..

و السلام

أحمد مخيمر

١٩٦٦/١٠/٩

باقــة من شعــره



غروب

«ودعها الشاعر وهى أكمل ما تكون نضارة وفتنة وفرحا بالحياة .. وأملا فى المستقبل .. وفجاة غرب الشعاع .. وأخرس اللحن الجميل !!»

وَدِّعْ غِنـاءَكَ يافؤادى قد مَضَـى
عهـدُ الغنـاءِ الحُلْو طَيَّ خفاء
واسْتقبلِ الأحزانَ حتى تَنْتهـى
مَحْمُـومَةً تَفْتَـاتُ بـالأحشـاءِ
أفرِدْتَ ياقلبى .. فما لك صاحبٌ
غيـرَ البَـلايـا السُّـودِ والأرزاء
وَقْفٌ عليكَ النَّائبات على المـدَى
يـاساعياً يَسْعـىَ بغيرِ رجـاء

يا بنتَ أحلامِي .. علامَ تركْتِنِي

وحْـدى أكـابِدُ حُرْقتِي وَبُكائي

وأنـا خُلِقْت لِكَـىْ أحبَّكِ دائمـاً

حتـى أغيـبَ وأنْتَهـي لِفنـائـي

مـا قيمةُ الدنيا إذا لمْ تخْطُـرى

فيهـا مَعِي فـى فـرْحـةٍ وهنـاء

نضَّرْتِهـا لـى فانْطلقْتُ مغـرِّدا

والشوقُ مِلْءُ جَوَانِحي ودمائي

وأَرَقْتِ فيهـا مـن مَفَاتِنكِ التـي

هَزَّتْ شُعوري واسْتَبَتْ حَوْبائي

وتَفَتَّـحَتْ أبْوابُ روحى فاغْـتَرَفْتُ رحـيقَـها فى لَهْـفَةٍ ومَـضَاءِ

لَكِ كلَّ يـوم صـورةٌ غيرَ الَّتـى :

أبْصَـرْتُهـا .. مـن فِتْنَـةٍ ورُوَاء

سَجْواءُ كالفجرِ العميقِ هُدُوؤُه

وضَّـاحَـةٌ كـاللَّيْلَـة القَمْـراء

تَتَجـدَّدينَ علـى الـدوامِ كأنمـا

كـلُّ المحـاسِـن فيـكِ والإغْـراء

ولَقَدْ غَنيتِ عـن التزين بيْنمـا

يبـدو سـواكِ مُشَـوَّهـاً بِطلاء

أَرْنُو إليكِ فتُفْسَحُ الآفـاقُ لـى

وأرَى عـوالِـمَ رحبَةَ الأرجـاء

اليومَ بعدَكِ لاغِنَاء يطيبُ لـى

غامَتْ سبيلى واخْتَفَتْ أصوائى !!

غَنَّيْتُ فيـكِ مَـلاحِنى مشْحونَةً

بـالحبِّ والأشْـواقِ والأهـواء

ولَطالَمـا أصْغَيتِ لـى مفْتُونـةً

بمَشَاعِـرِى المشْبُوبـةِ الهَوْجاء

تَتَنهَّدينَ إذا شكوْتُ لـكِ الهـوى

وجِراحَهُ فـى مهْجَتـى الحـرّاء

فإذا سكَتُّ .. ظنَنْتِ بى السّلْوى ومَا

بـى مـن سُلُوٍ عنكِ أوْ إغضَـاءِ

مُـلَّ الحـديثُ إذَا أُعِـيـدَ وإنَّمـا

تحْلُـو لَديـكِ إعَادَتـى أدْوَائـى

كـم أرْجَفُوا حتى كبَتُّ عواطفى

وكتَمْتُ مـا يَهتـاجُ فى أطوائى

أخشى عليكِ من الملامِ فإنني
عن أن أبوحَ بما يَهُدُّ بنائى
فليَستريحوا .. قد مَضَتْ أيامُنا
وتَلفَّعَتْ بغلائلِ الظلماء
ولَسوفَ نبقى للوفاءِ قصيدةً
عُلْوِيَّةَ الإلهامِ والإِيحاء !!

مالِى على الأيامِ بعدَكِ بُغيةٌ
تُصْبِى فؤادى أو تَمُدُّ رجائى
يَتماثلُ الضِّدَّانِ فى خَلَدِى .. فما
يدنو لنفسى كالبَعِيدِ النَّائى
بَهُتَتْ حَيَاتى واستَحالَتْ مأتماً
للدَّمْعِ و الآلامِ و الأعْباء
وتَجَرَّدَتْ من كل معنىً باسمٍ
وغَدَتْ فضاءً ينتهى لفضاء
وَقفَ الزمانُ .. وكانَ ينْبُضُ قلبُه
ويَمُوجُ بالأنْغامِ والأصْداء
وَقفَ الزمانُ .. فكُلُّ شيٍ حائلٌ
مُسْتَغرِقٌ فى الصمتِ والإغْفاء

وتَقلّصَتْ سِيمَاهُ فى عينى .. فما

فيــه جمــالٌ يسْتَبِي أحْنــائى

النَّفسُ بعدَكِ غَلْغلَتْ فى وَهْمِهـا

وظُنـونِهـا المـرْبَدَّةِ النُّكْرَاء !

يا مأملَ الـروحِ الحزينِ تَنَاهَبَتْ

رُوحِى شُجونى واسْتَطَارَ شقائى

كَفَّنْتُ أحْلامِــى وكنتُ بسحرهـا

أحْيَـــا بقلبٍ خــافـقٍ وَضَّــاء

أرْنُو إلى الفجْرِ الجميلِ وأرتَوِى

مِن مَنْهَـلِ الأضْـواءِ والأنْـداء

وأذيــبُ روحـــى نَسْمَــةً رَقَّــافَـةً

فى مسْبَحِ الأكْـوانِ والأجْواء

أأنــا سأحْيـا فــى الحياةِ موَحَّدًا

ياطولَ مــا ألْقــاهُ مــن بُرَحاءِ

لَمَّــا طلَعْتِ علــى حيـاتــى آمَنَتْ

نفسى بأنكِ فى الحياةِ عَزائى

فمشيتُ لا أخشَى الزمـان وريْبَه

ماذا أخاف وأنت فيه إزائى ؟!

ونسيت آلامــى الـدفينــة كلهـا

وطرَحْتُ شَجوى المستبدّ ورائى

واخذْتُ أهْتَبِلُ السعادة مطربـا

لا انْتهى مَن نَشْوَتِـى وصفائى

اليوم بعدَكِ لا أرى غير الأسى

يَسْتَلُ افراحـى وعذْب غنائى !!

قريتى

ذكر الشاعر الغريب لياليه .. وسماره من الأحباب
كم تغنى على ابنة النيل نشوان وفى نفسه ألوف الرغاب
وسرى فوق جسرها يحسب النجم .. يناجى الأسرار خلف الحجاب
إنها قريتى التى تضفر الشعر
وتُرْخِى المنديل فى إعجاب
وتغنى على الحقول المواويل .. على رغم ما بها من عذاب
وتصوغ الأسمار فى سَجْوة الليل .. تُسَرِّى بها عن الأوصاب
وتصلى لله طاهرة النفس .. وترجو منه جزيل الثواب

إنهـا قـريتى الـتى طُرز الحـسنُ

علـيـــهـــا مطـارف الأجنـاب

وتنمَّـى أمـامـهـا الزرع والطيـر

المغنـى على الغــصــون الـرطاب

وأحــاطت بهــا الخــمــائل والماء

فـكـانـا منـارةَ الألـبـــــاب

ضَـمَّـخـتـهـا السـمـاء بالـعطر والـنور

وأهـدتهــا سُـندسـيَّ الإهـاب

وأراقتْ على شـواطـئـهـا الخـضْر

ينـابيـع سـحـرها الخــلاب

عـادة النيل أن يعـانقها حـبا .. ويُشجـيها بالأغـانى العذاب

وعلى وجـهـهـا المنضـر يهـمى

قُـبـلا نشـوى حلوة الـتـسكاب

فـتشب الحـياة فـيها وتخضل.. وتزهو بكل نضـر عجـاب

وهى فى حضنه تنام على الشدو وتصحو.. تفوح بالأطياب

★★★

هكذا كانت قريتي في صباها

ثم شاخت .. وأزينت بالخضاب

واستعارت غدائر الشعر والكحل

واصباغ وجهها المتصابى

وجفتها بكارة الروح والعذرة.. واعتاضت منهما بالسراب

عقدت لحنها البلايا فأمسى

في يديها القيثار كالاخشاب

★★★

إيه ياقريتي التى كنت ظلى

ونسيمى.. إذا أحرَّ يبابى

حدثينى عن الزمان الذى كان.. وقُصى على عهد ارتغابى

وندامای فی المساء علی الترعة والنیل الحالم المنساب

والبنات اللاتى يقمن مع الفجر

الى النهر فى شفيف الثياب

حاملات جرارهن رشيقات

فيهفولهن قلب العباب

هامسات أصواتهن.. حكايا هنَّ تغرى صبابتى ولهُابى

كل هند لهـا مكان بقلبى

تتبـاهى بـه على الأتراب

والرجال الذين للحقل يسعون.. كصوفى لاذ بالمحراب

كل فـرد كـأنه وقدة النار

وكالسيف مزريا بالقراب

والصباح الذى يرف على الحقل

رشيقا كالطائر الجواب

فـإذا كل كـائن فى حناياه

نزوع للوثب والإطراب

حدثينى .. وحدثينى.. أعيدى

صُـورا كُن منهلى ووطابى

حينما كنت والطبيعة روحين

نغنى ملاحن الأرباب

تَستبينى.. واستَبيها.. فتزدانُ

كـانثى تبرجت فى الشباب

ولــن تزدان الـعـــــروس إذا لــم

تـتــــــزين لـزيـنـة الخـطـاب؟

★★★

إيه ياقـــريتي.. لـقــد كُنـت عندى

فُـرجـة النفس إن يِضقْ بى رحــابى

هجـرتك الـطيـور فـاخـتـنق الجـو

وضــاقت انفــاسـه بالضـبـــاب

واسـتمـات النوار واحـتـبس العطر

بازهـاره العـــجــاف الخـــوابى

والذى تاكليـنه ليس من حـقلك.. لكن مـن فـضالة الأوشـاب

والذى تلبـــسينه نسـجــتـــه

لك أيـد تجـيـــد فـن النهــــاب

لم تعودى ياقريتى أنت.. بل صرت مزيجا من زخرف وكذاب

ضج فيك البهتان والبهـرج الزائف .. واحترت بين طهر وعاب

وتعلقت بالقشـور.. وقد عشت زمـانا لاتعرفين غيـر اللباب

لست في الفستان القصير

كما كُنت تخبئين قبل في الجلباب

حينما كنت للحصاد تغنين

فتصغي إليك طير الروابي

والى الأرض ترفعين القرابين فتسخو .. عليك بالإنجاب

حينما كُنت تسمعين حكايات

أبي زيد.. والجسور دياب

والجرئ الضراب عنترة العبسي.. إذا انقض صاعقا كالشهاب

فيثور الحنين فيكِ الى المجد

وتعلين فوق هام السحاب

وإذا أنت غضبة تطحن البغي

وتفرى تسلط الأنصاب

وعن الأرض تدفعين المنايا

بعنيد بين الجوانح آبى

صرت لاتسمعين غير التفاهات

وذل الهوى.. وبَخْس الطلاب

فـتـمـيـعْت.. لا أصـالة تعُليكِ

ولكـن حَـجـلْت حَـجْلَ الغـراب

وغفا الناى في أماسيك والأرغول.. واسْتَيْبسَتْ أغانى الرباب!!

★★★

كُنت أسـعى إليك والريحُ تهـوى

بى.. وعـصف الإعـصار يخلعُ بابى

وطريقى عليـه اروِقـةُ الظلمة.. تُذكى هـواجسى وارتـعـابى

وعلى كـاهلى غُـبـار الليـالى

وجـراح الآبـاد والأحـقـاب

فـإذا انتِ تفـتـحين ذراعـيك

لقـلبى.. وتهـدئـين اضطـرابى

وإذا أنت مـثـل أمى تحُـيين مـواتـى.. وتطفـئـين لُوابى

وعـلى صـدرك الـوفى أرانـى

مُـسندا راسى.. مـرْخـيـا اهدابى

وأشم العـبـيـر من خـدك الغضٌ

ومن شـعـرك الظـليل السّـابى

وكسانى بكل أجنحة الروح

مسرف على سناك المُذاب

كل هذا مضى.. ولم يبق منه

غير ذكرى تئز أزَّ الحراب

كل هذا مضى.. وأصبحت أنثى

عقمت.. لاتمور بالإخصاب

واستكان النيل الحزينُ وأغفى

وتغطى بالصمت والإكتئاب

فإذا بى فقدت بعضى.. وبعضى

هو كلى.. فيا لهول اغترابى

يالقلب المحب يحرقه الجرحُ

وما يسلو عن هوى وعتاب

أتراني أراك يوما.. وقد عدت تسيرين فى طريق الصواب

★★★

فبراير سنة ١٩٨٦م

وغدا أحب

لاتحسبي اني خدعتُ فإنني
بجميع حالات النساء عليمُ
جربت منذ صباى غيرك عالما
أن التجارب كلهن كلومٌ
ما فاجأت قلبي نهاية قصتي
فختامها من بدئها معلوم
كل النهايات الحزينة أنبأت
قلبي بأن الحب ليس يدوم

هو كـالحيـاة تحـوُّل وتغـيُّـر

وصـبـاحـة مطْلُولَة وغـيـومُ

حـزنى عليك سينتهى يومـا.. كما

بلىَ الجـديد فـصـار وهْو قـديم

إن كنت حـاسـبـة بانى قد هزمت

فـفـي غـد يتكشف المهـزوم

لى من تجـاريبى هدًى وحـمـاية

وبها استبـان طريقىَ المغـمـوم

بعـصـيرها أحـيـا تجـددنى المنى

والحب والأحـلام والتنغـيم

إن تُنكرى الأمس القـريب فـإننى

مـازلت بالأمـس البـعـيـد أهيم

هو بعض نفسى عشتهُ متفردا

حـينا وحـينـا سـاورته همـوم

وأنا ابن أفـراح الحـيـاة وحـزنهـا

وتناقـضـات بعـضـهن أليم

انا مــا سلوتك صــدقـيـنى إنما

أصـبــحت ذكــرى تنجلى وتغـيـم

والذكـــريات عـــوالمى ومناهـلى

ان غـامـت الآفــاق فــهْـى سـديمُ

كــالأخـريـات فـإنـهن يَعْـشنَ فى

قلبى الأمـين وســـرهن حـــريم

وغـــدا احـب فلم ازل طفل الـهـوى

وبدونـه قلبى الـرضــيـع فطـيم

انا بالـهـوى احـيــا وانسـى اننى

بغـدٍ سَـيلقـفُنى الردى المحـتـومُ

★★★

إليكَ أعود

إليك أعــودُ بعــد تشــردُّى فى تيــه أوهامى

فــلا توصدْ أمــامى البــابَ وافتــحْــه لأنغــامى

تفــاوحْــن كـمـثل الزهـر فى بســتــانـه النامى

وحلقـن ضــراعــاتٍ إلى مَلكوتك الــســامى

فـــلا تتـــركْ لظاها في دمــى يلفَح انــســامى

تعبتُ .. تعبتُ من سفرى وحيرة قلبى الظامى

كـفــانى أنـنى فى غـربتى ضــيــعتُ أحـلامى

وكــانت كلَّ مـــا أملك فــوق جــفـــاف أيامى

وكــانــت مـوئلى إن غــامت الطرقــات قــدامى

★ ★ ★

إليك أعــــودُ من أدْغــــال أخـطائـى وأوزارى

على كـتـفى جـبـالُ الصـخـر قـد أرهقْن أسـفـارى

وفى قـدمى يغـوص القـيـدُ يـسـتـنـزفُ أغـوارى

وفـوقى عـرْش الليلُ وأحكم سَـدْل أسـتـارى

مـخـاوفـه تبـعـثـرنى وتُخـرسُ بوح أوتارى

ومَن غـيـرك يحـمـيـني إذا غـالبـتُ أخطارى ؟!

فـلا تقـسُ على ضـعـفى فـضـعـفى كلُّ أعـذارى

ألسـت المانحَ الـوهَّاب أشـرعــتـى وإبحــارى

وقلتَ : اعزف "كـارفيـروس" فاستـحليْت قيـثارى

وشـئتَ ـ ولم أشأ قـدرى ـ فـما عـاصيتُ أقـدارى؟

★ ★ ★

إليك أعـودُ من سـفـرى وإن أبطـأ مـيـعـادى

فكـم حـاولـتُ أن أسـعى إليـك برغـم أصـفـادى

وكـم ناديتُ يـامـولاى غِـثْنى.. طـال إبْعـادى

وكم صـعَّـدت أغنيـتى إليك وعـزفَ أعـوادى

فلـم تسـمعْ رجـاءاتى ولـم تُنصت لإنشـادى

فعشت أهيم فى المنفى بلا ماءٍ ولا زاد
بلا صوت يؤانس وحشتى ويضئُ آمادى
يُجاذِبُ روحىَ الضدان إيمانى وإلحادى
لماذا شئتَ إبعادى وفى كفيك إرشادى
لماذا شئت لى ظمِأى وأنت أحبُّ أورادى؟!

١٩٨٨

استوقدى نارى

وحشية العينين .. يُخيني
أن تطعني قلبي وتُدميني
سوخي باعماقي مزلزلة
صمتي .. فإن الصمت يُرديني
شُبّي الضرام بمهجتي وضعي
نفسي بمعترك البراكين

أنا لا أحب البحر متئدا

واحبه نزقا كمجنون

والكونُ فى عينى مساجلةٌ

لا تنتهى يوما بتسكين

عيناك صبّى منهما لهبا

يؤج فى قلبى ويكوينى

يرجُنى رجا وينشلنى

من وهدة الأوشال والطين

يطوف بى فى كل مستتِرِ

ولسر كنه السر يهدينى

حولى خَواء زَمٌ اجنحتى

فى جدبه اصفرت الاحينى

تنفس الموت البليدُ به

واندّاح فى خاف ومَغيُون

فى صمته المملول يفزعنى

سود المراهب والأظانين

روحي به مخنوقة هبطت
للقاع والأصفاد تطويني
وحشية العينين .. يُحييني
قصف العواصف في شراييني
وتمردُ الإعصار محتدما
متوقدا مثل التَّنَّين
فاستوقدي ناري .. فإن بها
مائي الذي في الجدب يرويني

سنة ١٩٧٦

نسمة المساء

إيه يانسمة المساء لقد هجْتِ

بنفسي مواجعي واشتياقي

أنا مُصغٍ إليك من شُرفة الروح

.. نزوعٌ لهمسك الخفاق

رب آهٍ حملتِها عن شجي

يتلوى في قبضة الإرهاق

وعليل يئن من قســوة الداء

عليـه .. ومـاله من واق

ووحيـدٍ يسـاهر الليل والوهم

وحـرٌ مكبل فى الوَثاق

وغـريبٍ عن أهله نازح الدار

يعـانى من الجـوى والفـراق

لكان الفـضـاء آهات محـزو

نين ضـاقـوا بالقـهر والإخـفـاق

كل آه تُقـضـى بسـر أسـاهـا

لسـواها .. فى لهـفـة وعناق

وَشَجَتْ بينهن واشجـة الوجـد

وجـمـرُ الأسى ودمع الحِداق

فـاحـملى آهتى إلى الجدَث الغـافى

بأرض بعـيـدة الأعـمـاق

فى هواها أبحـرت مـذ كنت طفـلا

لا أبالى عـواصف الآفـاق

لمن أغنى ؟!!

غنيتُ للنازح المقهور اغنيتى

وعشتُ فى نزحه الدامى على شجن

دمُ الجريح على جرحى سوائلُه

سخينةٌ .. ولياليه تؤرقنى

لكننى وأنا فى التيه مرتجف

وحدى .. افتقدتُ انيساً فيه يؤنسنى

غنيتُ للحب .. قالوا الحب تلْهيةٌ

يلهو به الفارغ الخالى من الفطن

فقلت : إن بناء الكون أجمعه

على أساس الهوى يعلو بلا وَهَن

تآلفت قسمات الكون وامتزجت

بحبها الدائب الجارى على سنن

قالوا صدقت .. ولكن كيف يعرفه

من عاش وهْو على دنياه فى الكفن

غنيتُ للطير .. قالوا الطير كم صدحت

على البيادرِ والأنهارِ والفنن

تعلو وتهبط فرحى فى مسارحها

ولا تخاف من الأخطار والمحن

فأىُّ عزف جديد منك نسمعه

الصمت أبلغ .. لا تفصح ولا تُبِن

غنيتُ للريح .. كى تنقضَّ صاعقةً

فتجرفَ العفنَ المخبوءَ فى العفن

وتخلع الورق المصفرٌ من شجر

جفت نضارته فى الساق والغصُن

قالت لى الريح مهلا .. كيف تعذلنى

ألا ترى مَسَدَ الأطواق يخنقنى

الريح تشحذها ريح تؤججها

فأين منى رياح النار تشحذنى

غنيتُ للوطن الغالى .. فخاذلنى

وقال دعنى إلى الأحلام والوسن

ايقظتنى من نعاسي وهو يحملنى

إلى عوالم تشجينى وتسعدنى

دعنى .. ففى الصحو تغشانى دياجره

وفى مخاوفها قيدُ يكبلنى

دعنى .. وأسدلْ على عينى ستائرها

لعل فى الحلم مَنجاتى من الأسَن

غنيتُ، غنيتُ، حتى صاح بى وترى

رفقا بقلبى .. فجمر النار يحرقنى

فـــيمَ الـغـنـاء لمهـــزومين قـــد صـــدئت

نفـــوســـهمْ، وارتوت بالجـــدب والإحن

وخـاصمـوا الصـبح والأنسـامِ واخْتَـدَرُوا

في وهدة الـكهف. مـــشـــدودين بـالرسَن

خـــاطوا عـــيونهمُ كي لا ترى قـــبسًـــا

يهـــديهمُ في ليــــالـي الرعب والـدجَن

نامـوْا علـى عـتـبـات المجـد.. مـــاوَلَجُـوا

في صـــــرحــــــه .. وتمـنُّوْه بـلا ثمـن

تواكلـوا في الزمـــان البُـور.. وارتـقـبـوا

من اللـئـــام غِـيـــاثًا غـــيـر مـــؤْتَمن

وللـفـــواجع ألوان.. وأفـــجـــعـــهـــا

أن يصـــبح الحـــر عـــبـد الفـضل والمنن

★ ★ ★

لمـن أغنـي إذن.. يـا بؤسَ أغـنـيــــتـي

إذا شـــدوتُ فـلم يســـمـع لهـــا وطـنـي

أنا الـغـــريـب.؟ أم الأشـــواقُ قـــد يبـــست

من طول مـــادَمـــغَـــتـــهـــا وطاة الحـــزن

فليتني أسمع الأقدار مُعْلنة

فرحانة بانتصار العزم واليَقِين

«سيزيفُ» ثار على أغلال محنته

واستنكر السفح.. واستعلى على القُنَن

ديسمبر سنة ١٩٨٤

مع العقاد

في ذكراه العشرين

اخـــــفضْ جـناحك. أنـت في أســــوان
واحــــفِلْ بـهـــا.. فـــهنـا أجلُّ مـكانِ
وانشَقْ عــبـيــر ترابهـــا .. فـهنا مــشى
يومـــا فـــتــاها عـــاطر الأردان

القيت في الحـفل الذي اقامتـه «محافظة اسوان» بمناسـبة مرور عشرين عاما على رحيله.

في كل موقع خطوة منه.. سرى

نغم تصبىً مسمع الأكوان

والثمْ جبين سهولها وهضابها

كم حاورته وألهمته معانى

واسكب لها أغنيَّة مطلولةً

صدَحَت بقلبك صِدْحة الكروان

واهتف بها.. وقل السلام على التى

جادت بأمجد كاتب فنان

فتبخترتْ ميَّاسةً.. وتميَّدت

نشوى.. تتيه به على البلدان

ومن البلاد صغيرُها وكبيرُها

كالناس.. إن تخبرْهمُ صنفان

مصر التى تهب الثمارَ سخية

وتجود طول حياتها بمجانى

جادت به متفرّدا فى فكره

وشعوره المتعمق اليقظان

ومن العجائب أن يكون مفكرا
متمنطقا.. متميزَ الألحان
فيه الحياة تآلَّفت أشتاتها
وتمازجت كتمازج الألوان
أبدا يحدِّق في الوجود منقبا
عن سره المخبوء طيَّ دِجان
فيميط كل غشاوة عن سره
ويراه مَغْيُونا وغير عيان
ويهتِّك الأسرارَ فوق كنينه
فإذا القصيُّ عن المدارك دان
تتأله الأفكارُ في ملكوته
معصومةً لم تَتَّضعْ بتدانى
ويغربل الآراء.. حتى ينتهى
للرأى مَجْد ولاً بغير لِيان
يزن الكلام.. فكل حرف عاقل
وسواه يُهْرقه بلا ميزان

ويرود مُنْبهم الشِّعاب.. كأنما

وُكِلَتْ إليه هداية الحيران

ويعب من روح الجمال.. ويرتوى

من نهره المتوهج النشوان

فيجيش بالنغم المقدس قلبه

وتؤج فيه مشاعر الإنسان

فإذا به فوق السحاب مجنح

يشدو.. فتصغى الروح والأذنان

دنيا من الملكات فاح أريجها

وعوالم شتى بلا حسبان

والعبقرى الفذ كون هائل

عَزَّت عجائبه على الأذهان

هو فوق ناسوس الحياة.. وكنهه

يسمو على القياس والوزان

★ ★ ★

ياسيدى العقاد.. جئت وفى دمى

وهج المحبة يحتسى وجدانى

لم أغتصب حبر الكلام وإنما
روحي وحسي منك يغترفان
أرضعتني منذ الصبا وغذوتني
وفضضت قدامي كُوى العرفان
وانرت لي غبش الطريق.. ففُتِّحت
أبواب روحي لسنا وجناني
ولكل مافي الكون من صور المنى
وغرائب الأهواء والأشجان
فشددتُ أوتاري.. وقلت لها اعْزفي
بوحي.. فإن الموتَ في الكتمان
بوحي بأفراح الحياة وقدسها
ومواجع المقهور والأسيان
وترنمي للشاربين دموعهم
والماضغَين مذلة الحرمان
فالفن أصداء الحياة بكل ما
تحويه من فرح ومن أحزان

والفن أخلده الذى يُحْيِي المنى
ويشُب طوقَ الواهنِ المتواني

ويناصر القيم التى تعلى الحياة
.. وترتقي بمشاعر الإنسان

والفن للشعب الأصيل سلاحه
مادام فنا لم يُشَبْ بهوانِ

والفن بنَّاء الحياة بصدقه
فإذا تكذَّب قَضٌ فى البنيان

★ ★ ★

ياسيدي العقاد، إن ملاحني
قُبَلُ الهوى، وتهامسُ الأجفان

هى ظُلتى عند الهجير، ومعطفى
إن أرعش الثلج البَرُود كيانى

لم أشُدها يوما لذى سلطان
فالشعر أسمى من ذوى السلطان

لكننى وأنا أمامك حائر
تكبو فوارس منطقى وبيانى

والضوء إن سطعت فيوضُ سيوله
كلَّت أمام سطوعه العينان

إن يزدهي أسوان سد منعم
فلأنتما فيها معاً سدان

تهبان أزواد الحياة ونورها
من غير مَنٍّ بالذي تهبان

ولربما يجني الزمان على البُنى
لكن على الأفكار ليس بجان

ولكل فكر نابغ في عصره
أثر.. وقد يبقى مدى الأزمان

مارس سنة ١٩٨٤

غُفران

أنــا لا أولـــومـك يـــا أخـــى

مــهـمــا فـعـلت من الصـغـــائرْ

بل ســــوف أغــــفـــر دائمــــا

إن الـكريم الـنفس غـــافــــرْ

كن كــــيف شــئت .. فـــإنني

أبداً عـلى المكروه صــــابــر

نــفــــســى تســــاوى عـندهـا

نسـم الأصـــائـل والهــواجـــر

جـــربت حــتـى اعــتـــدت أنى

لا أفـــــاجــــــأ بـالـدوائـر

وأخـــــــذت أيـامــى بـفـكـر

مــــفُلسِف وبـقـلـب شــاعــر

هذا أنـا .. يا صـــاحـــبى المر

جـــوٌ فى الأمـــر المـعـــاســـر

يــاروحــــــة الـقـلـب المـســـــا

فـــر عـــيـــر أهوال الديـاجـــر

وإخــــــــال أنـك لست تـنـســ

ـى شـيـــمـتى .. بل أنـت ذاكـــر

لكـن برغــــمـك قـــد غـــدر

تَ ولـم تكـن يومـــا بـغـــادر

فــــشـــدوت ألحـــان المنى

وهــجـــــرتـنـى والرزء بـاتـــر

وأنـا الذى يـســـقـــيك من

نبـع المحـبـــة والمشـــاعـــر

ويمـوت كى تحـــيـــا ويـا

سى كـى تحـــالفك البـــشـــائر

أظـــنــنـــت أنـــك رابـــح

لا يا أخـى .. بل أنـت خـــاســـر

فــغـــداً تعــود إلى تـضـــر

عك الـقــديم وأنت صـــاغـــر

وأعـــــــود يـغـلـبنى هـوىً

مـــتــمكن فى الـنـفس قـــاهر

واقـــول فى مـــاضـيــة تعْـــ

ـــزية وفى الـذِّكـــر العـــواطر

★★★

كـــشـــفـــتـك نائلـة الخلـيج

ومـــزقـت عنـك الســتـــائر

كـم رنَّحت ناســـا فـــأبـد

ت منهـــمـــو عــفَن الضــمـــائر

ولـذا عــــــــذرتك يـا أخـى

والحب غـــفــار وعـــاذر

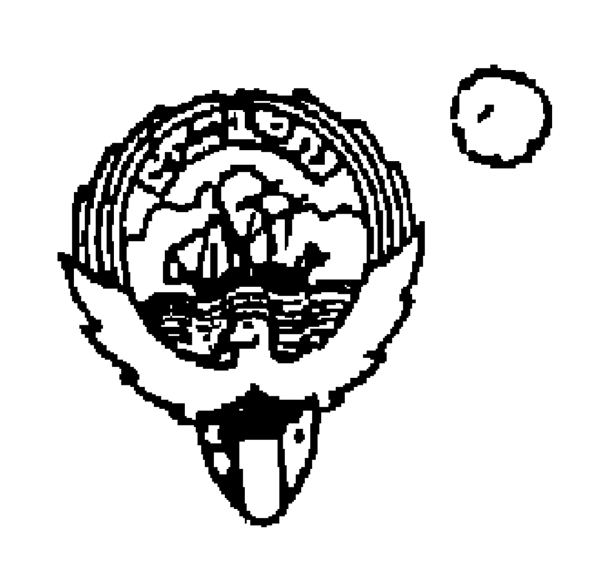
ورحـــمت ضــعـــفك إذا هـبط

ت .. وكـنت فـــوق النجم طـائر

الأوراق .. الوثائق

- الخطوط تحكي..
- والعبارات تصور..
- والزمن يعود بنا إلى الوراء..

إذا عادت فيروز الى دور العرض يوم [illegible] هل أن تطلقي
قالت: إذا [illegible] في الفترة من ٤ إلى ٥ حتى أتهيأ للزوج"



وزارة التربية

قد عزمت على بيع سيارة (١) غرفتها، فقد كنت متردداً لأسباب، وهي أن السيارة بالنسبة
إلى قيد وأنا بحكم تكويني أكره أي قيد على حريتي ما دامت هذه الحرية لا تؤذي أحداً،
وأستغلها في تطوير نفسي وذهني وانعكاس مباهج قلبي .. ثم أنني بحكم نزعتي
الفنية كثير السياحة في عوالم بعيدة غير منظورة، وقيادة السيارة تتطلب التركيز
بالنظر، ومراقبة الواقع، وإدمان الحذر والحيطة لتفادي الخطر. ثم أنني وحيد
خفيف الحمل فليس لي زوجة ولا أولاد يطالبونني بالواجب أن أدفع عنهم دائماً..

ولكني ترددت على هذه الأسباب. بأن الوقوف وانتظار التكسي قد أرهقني.. وأن الحزن
من [illegible] سيجبرني على أن أحيا على الأرض وأنا أقود السيارة، وأن الله قد يهديني
وأتزوج وأنجب أحياناً ولداً أحمد واحداً فقط. ثم قمت على الفور وكتبت من البنك
٦٠٠ وعشرة وهو المبلغ اللازم لحجز السيارة. وسيقوم [illegible] بتأكيد [illegible]
أسماء الأجنبية ليوم وميعاد تسليم كل منهم وسيتم هذا في خلال أربعة أيام من الآن
وعند تسلم السيارة سيدفع الباقي وقدره ١٤٠٠ جنيه...

وبعد هذا الخبر في رحلة الى دمشق ... وأرجو أن تكوني والدنا والدكم والمرأة [illegible]
المنيرة بخير. ولعل "فيروز" قد استردت صحتها. وقد كنت حريصاً على أن
أرسل لها رسالة على المدينة ولكني لحالتي النفسية نسيت أن أسألك عنها أسمها الفني
وطلبها الذي بدأ مرضها إلا بعد [illegible] .. وأخيراً فأرجو أن تكوني ولدنا
أحمد صادقة على أحسن حال. مع خالص مودتي ؟ أخوك

القاهرة الأحد ٧٧/٢/١٨

بخط الشاعر الكبير إلى (ابتسام) يحكي لها قصته (السيارة)

صفحة من أحد خطابات طالب الفنون الجميلة

أحمد ماضي عام ١٩٦٧

تعزية عائلة عيسى
بكفر المياسرة

فتحي أحمد عيسى عمدة كفر المياسرة وجميع عائلة عيسى ينعون فقيدهم العزيز الشاعر الكبير

عبد العليم عيسى

نجل المرحوم أبو النجا عيسى المحامي والموجه العام السابق بوزارة التربية وعضو اتحاد الكتاب بمصر وعضو لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة

قبل وفاته بأسابيع . . وقبل أن يرتعش القلم بين أصابعه كتب صيغة النعي بنفسه

نعي عائلة عيسى
بكفر المياسرة

فتحي احمد عيسى عمدة كفر المياسرة وجميع عائلة عيسى ينعون فقيدهم العزيز الشاعر الكبير الاستاذ

عبد العليم عيسى

نجل المرحوم ابو النجا عيسى المحامي والفقيد موجه عام سابق بوزارة التربية وعضو اتحاد الكتاب بمصر وعضو لجنة الشعر بالمجلس الاعلى للثقافة وقد شيعت الجنازة والقيم العزاء امس
والعزاء بكفر المياسرة
آل عيسى كفر
المياسرة دمياط

واستجبنا إلى طلبه دون تعليق عندما نشرناه في الأهرام يوم ١٩٩٨/٨/٣٠

محاولة اقتحام عالم الأغنية.. بنص لم يكمله أو ينقحه..

ثم أعرض عنه

ملف رقم ١١٢/٨/٢٧٢
مرفق ٢ مستند

[illegible] ٩٩/٦/١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد / مدير إدارة التركات الشاغرة

تحية طيبة ... وبعد

تحية ومشكلات الثقافة في بلادنا، ومكتبة باسم الشاعر المرحوم عبد العليم عيسى تعرضه كنزاً [illegible] لحل مشكلات هذه الكتب والمخطوطات بها ..

ومرفق لكم الوثائق الآتية:

١- صورة من قرار تخصيص الأرض رقم ٤٠٢ لسنة ١٩٩٨ من السيد المستشار [illegible] محافظ دمياط.

٢- صورة من خطاب لجنة شئون [illegible] من الحزب الوطني [illegible] بإنشاء مكتبة باسم الشاعر المرحوم عبد العليم عيسى.

٣- صورة [illegible] الكتب [illegible] المقدم [illegible] عبد العليم عيسى. [illegible] الكتب [illegible] المسئولين [illegible] هذه الكتب إلى [illegible] هذه الكتب أمام [illegible] الثقافة [illegible] ناصر [illegible] المكتبة [illegible]

[illegible] دائم المحبة والتقدير

المواطن

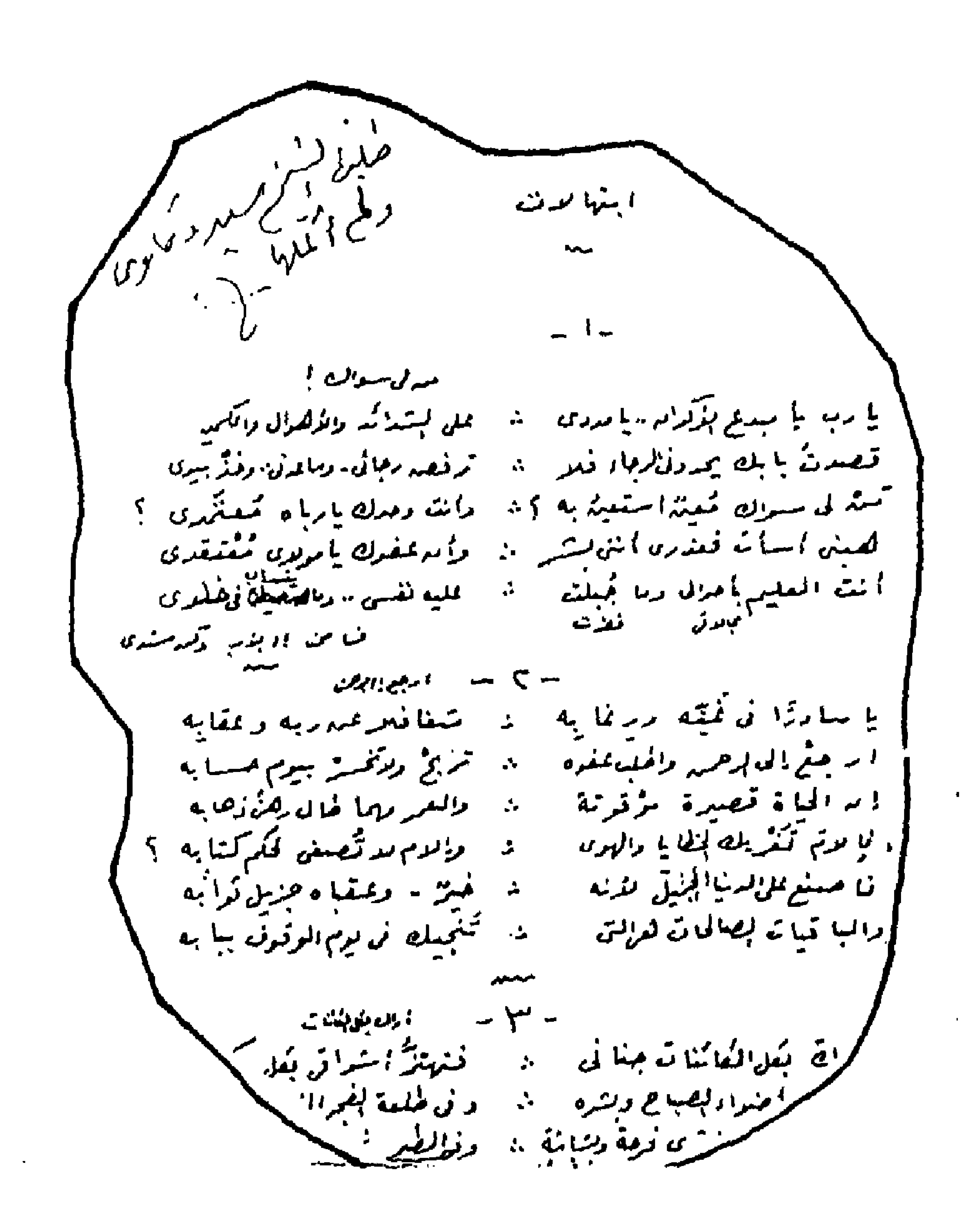
١٧/٥٠٢٣
٩٩/٦/١٢

[illegible]

خطاب إلى (إدارة التركات الشاغرة) .. لإنقاذ مكتبته.

المسودة العجيبة لبكائية رائعة لم نجدها في دواوينه..

والمنعي ما زال مجهولاً.



ابتهالات

- ١ -

هل لي سؤال!

يا رب يا مبدع الأكوان .. يا صمدي ∴ [illegible] والإجلال والكبر

قصدت بابك يحدوني الرجاء فهل ∴ [illegible]

[illegible] ∴ وأنت وحدك يا رباه [illegible] ؟

لكنني أسأت فعذري أنني بشر ∴ وأن عفوك يا مولاي مُعتقدي

أنت العليم بأحوالي وما جُبلت ∴ عليه نفسي .. [illegible]

- ٢ - ارجع إلى الرحمن

يا سادرًا في غيّه [illegible] ∴ [illegible]

ارجع إلى الرحمن واطلب عفوه ∴ ترجع ولا تخشى بيوم حسابه

إن الحياة قصيرة مؤقتة ∴ والعمر مهما طال رهن ذهابه

[illegible] ∴ [illegible] ؟

[illegible] ∴ [illegible]

والباقيات الصالحات [illegible] ∴ [illegible] في يوم الوقوف ببابه

- ٣ - [illegible]

[illegible] ∴ [illegible]

أضواء الصباح [illegible] ∴ [illegible]

[illegible] ∴ [illegible]

ألا يمكن لهذه الكلمات أن تلحن؟.. لقد عزف عن إكمالها عزوفه عن الشهرة... وكان يمكنه الاتكاء على علاقته بالملحن الشـــهير سيد مكاوى وحبه الشديد له ليقترن اسمه باسمه فى أغنية شهيرة

المساء ٩ ٧ / ٦ / ١٩٩٨

أستاذى عبدالعليم عيسى.. ذلك الإنسان!!

ابدا لم يحرص فى حياته ان يكون نجما.. رغم ان كل ما فيه يدعو إلى النجومية شعره المسترسل فى عذوبة.. وجهه الناطق بالبشر والوسامة. اناقته التى تنبئ عن نعومة العز ورومانسية الالوان وهدوء النفس.. مظهره جذاب.. ولكن جوهره اكثر جاذبية.. شخص رقيق.. يستمع إليك فى هدوء .. ويبتسم لك فى حنو. ثم يحتويك بحديث شائق تتناغم فيه اصابع رشيقة مع هزات ساق نحيلة تربض فوق ساق اخرى.ثم إيماءات رأس دقيق تعلوه هالة من الشعر الجميل الذى يتضوع عطرا.

هالنا ونحن صغار ان يكون لدينا هذا الاستاذ فى مادة اللغة العربية. احببناه قبل ان يتحدث.. وعشقناه عندما تحدث.. وذبنا فيه وجدا عندما سمعناه شاعرا يهز نفوسنا هزا بقصائده الوطنية والعاطفية.

لعلنا تعودنا ان التلميذ النجيب هو الذى يلفت نظر استاذه إليه وما حدث معنا انه هو الذى لوى اعناقنا عجبا ونحن نلتفت إليه مبهورين. يكفى انه لم يلجأ مرة واحدة إلى اساليب التقويم التى يتخذها المدرسون لتاديب تلاميذهم فى المناطق الريفيه.. فما اسهل ان تتلقى من هذا.. ووخزة من ذاك.. او كلمة سباب نابية من إكثرهم تادبا ولكن استاذنا الجديد عندما سمع احدنا يطلق على الكتب مسمي (كتبات) اخذه الضيق الذى كنا نعرفه من تكشيرة تاخذ مكانها بين حاجبيه ثم هتف (لو كنت ادرس لاناس من العصر الحجرى ما نطقوها امامى هكذا!!) . هذا هو السباب لدى عبدالعليم عيسى

لقد اطلق فى نفسى شرارة الإبداع منذ صغرى وعندما نلت درجة تقترب من النهائية فى موضوع الإنشاء متمتعا بجائزته التقليدية التى يمنحها من جيبه الخاص فى شكل كتاب.. لم تثلج صدرى هذه الجائزة العينية التى حصلت عليها منة كثيرا قدر ما اثلجته تلك العبارة التى سجلها لى اسفل الصفحة .. اتمنى لك مستقبلا باهرا فى عالم الادب والفن.. إذ كان يتابع ايضا ما ارسمه من لوحات فى جماعة الرسم بمدرستى الثانوية.

وعندما اصبح جزءا من كيانى.. اقتربت منه فى خجل طالبا عنوانه فى القاهرة. فكتبه لى ظانا اننى سأراسله فى اجازة الصيف.. وبعد شهر واحد من الاجازة كنت اقف امامه وجها لوجه عند منضدته فى محل جروبى.. صبى . ريفى صغير يهبط القاهرة لاول مرة فى حياته ساعيا إلى استاذه.. اخذته الدهشه.. وزادت دهشته عندما عرف اننى جئت اليه متنقلا من عند مسكنه إلى المدرسة الخديوية إلى نادى الكمال ثم إلى جروبى.. افسح لى مكانا مع ضيوفه الكبار.. ثم قدمنى اليهم تقديما جعلنى اطرد شعورى بالضآلة قياسا بهم .. ثم حرص وهو يودعنى ان يبتاع لى هدية من الكتب وربطني عنق..

بالجبهة ثم متعاقداً للعمل بالسعودية.. رغم البعد والغربة عشته وعايشني. مراسلة ولقاءات حرصت عليها في اجازاتي .. تاكد لي عمق هذه المعايشة عندما هاتفني ناصحا ان ادخل المسابقة الادبية الكبرى التي أعلنت عنها القوات المسلحة للحصول على احسن عمل ادبي عن حرب اكتوبر.. مؤكدا ان قصتي (الممر) التي نشرتها في جريدة الاهرام على اربع حلقات ستحصل على الجائزة الاولى.. تلكات.. وكان تلكؤي ليس من خشية عدم الفوز.. ولكن لشعوري ان هذا العمل اخذ حظه من النشر في هذه الجريدة الكبرى.. وهذا يكفي .. وقد غاظه تلكؤي فاعاد على طلب الاشتراك.. فاشتركت موضحا لمن حولي ان ذلك ليس إلا لإرضاء استاذي.. ولما فزت بالجائزة الاولى ايقنت إلى اى حد كان مرهفا وحساسا وبعيد النظر.. وكان يهنئني على فوزي.. وكنت اهنئه على فراسته.

ظل يضحك للدنيا وينعم بها رغم عبوسها.. ولما راح الموت يخطف كل احبابه واحدا إثر الآخر راحت تطعنه الازمات الصحية مع كل مخطوف جديد هؤلاء الذين كان اخرهم الشيخ سيد مكاوي.. لقد زادت علته بعد فراقة.. وخلت من حوله الدنيا إلا من ابتسام. سيدة رقيقة من العائلة عوضته عن الام والزوجة والبنت والمرضة. فقد حاولت جاهدة ان تعلق دائما بين شفتيه ابتسامة الحياة.. ومع هذا فقد كان يطلق ٢اشعاره ناعيا احبابه الراحلين الى الناس.. ثم عاد ينعى نفسه إلى نفسه..

وفي ديوانه الاثير (مسافر بلا زاد) اخذته مسحة صوفية يناجي فيها ربه.. وحياته التي تغرب.. ثم موته الذي يقترب.. ولم يفته ان يراقب عن كثب ذلك الهوس الذي اخذ يتفشى في الشعر الحديث، مبتسما في اسى لذلك المولود اللقيط الذي اسموه قصيدة النثر، متمتما:إنه العجز والخواء .. وعندما كان يرى احدهم يسعى متهافتا لاعتلاء منصة النجومية بشعره الهزيل واحاديثه المنقولة كانت تتسع ابتسامته وتزداد مرارته متفاديا ان يشير الى عمق مرارته من هذا المدعي امتطى اشياء كثيرة في رحلته منها استخدام اسم عبدالعليم عيسى كخال له.. ومع هذا فقد شغلته رحلته الجهنمية حتى عن السؤال عن خاله الذي من صنعه.

وعندما سعيت اليه زائرا ويرافقني الشاعر المبدع محمد محمد الشهاوي في لقاء كان بينهما الاول والاخير تراجعا.. هذا يلقي.. وهو يستمع .. وكلاهما ينخره المرض .. وكان استاذي مغتبطا بالشهاوي .. ولم يمنعني ذلك ان انهي اللقاء مشفقا على الشهاوي الذي ينفجر الشعر رعدا من صدره العليل.. واستاذي الذي يميل عليه مستمعا في شغف بأذن كليلة.. إلا انه هاتفني لائما إذ اسرعت بالانصراف فقد حرمته من متعة كان يجب ان تطول مع هذا الشاعر الذي يعتبر في نظره من فحول الشعراء العرب. متمنيا ان يلتقي به مرة اخرى .. تلك الامنية التي لم تتحقق.

قلت له يااستاذ.. ولكن الشهاوي مثلك لايحسن عرض مالديه.. ويعيش منزويا قال لي: تقصد لايحسن تلميع نفسه.. إن كان الامر كذلك فتلك صنعة لايجيدها اصحاب المواهب الحقيقية التي تشغلهم مواهبهم عن اى شئ اخر ولكن تاكد ان محمد الشهاوي لن يكون في يوم ما زبدا مثل الآخرين.. قلت له: ونحن ايضا في تاكد قاطع انك قد اخرجت من صدرك [illegible] وشعرت الاصيل [illegible]. وسيمكث في الارض.

القاص / أحمد ماضي

عبد العليم عيسى: الضوء الخافت والشعر الصافي

في الذكرى الأولى لرحيله أكتب هذه السطور. أحاول استعادة سمته الهادىء الوقور، وملامحه الإنسانية الصافية، وصوته العميق المتقطع. لم يكن عبد العليم عيسى من أهل هذا الزمان، كان فارسا نبيلا ودودا، من فرسان عصر الرومانسية الذين امتلأ وجدانهم بالزخم العاطفي العارم، وفي الوقت نفسه بالانعطاف الشديد تجاه المسحوقين والمستذلين الذين يكابدون الظلم وقسوة الحياة، ويتشوفون إلى الحرية، ويكدحون من أجل غد أفضل، وكانت هذه المعادلة الصعبة، المركبة والجامعة، هي مفتاح شخصيته في أبعادها الروحية إلى أقصى حد، ورؤيتها الواقعية المادية للصراع البشري في ضراوته وطغيانه. هذا التكوين الرومانسي الواقعي، الروحي المادي، السلفي التجديدي، الملتزم التنويري، سيصبح مسئولا عن قلقه وحيرته، عن انجذابه وشروده، وعن معاناته وتوهجه، وتحولاته المستمرة من الذاتي الخاص إلى الانساني العام. ولد عبد العليم عيسى في قرية «كفر المياسرة» بمحافظة دمياط عام ١٩٢٠، لأسرة عميقة الصلة بالدين والأدب والعلم فعندما بدأ خطواته الأولى مع التعليم الأزهري، كان أبوه ـ في الوقت نفسه ـ يستعد لامتحان العالمية الأزهرية والقضاء الشرعي، وتخرج عبد العليم في كلية اللغة العربية عام ١٩٤٣ ومعهد التربية عام ١٩٤٥ ليعمل بعد ذلك بالتدريس طوال حياته الوظيفية، حتى إحالته إلى المعاش وهو موجه عام في اللغة العربية بوزارة التعليم. لكن الطالب الأزهري الشاب عبد العليم عيسى اخترق الحاجز وهو دون العشرين عندما بدأ ينشر شعره في المنابر الصحفية الرئيسية ـ طوال الثلاثينيات والأربعينيات ـ «كالسياسة الأسبوعية» التي كان يرأس تحريرها حافظ محمود خلفا للدكتور محمد حسين هيكل،



و«الرسالة» التي كان يصدرها احمد حسن الزيات، و«الثقافة» التي كانت تصدرها هيئة التاليف والترجمة والنشر، ويرأس تحريرها احمد أمين. ونضجت شاعريته في اوان التوهج الشديد للشعراء الرومانسيين الكبار: علي محمود طه وإبراهيم ناجي ومحمود حسن اسماعيل ووجد عبد العليم عيسى في شعر محمود حسن إسماعيل النموذج الذي يبحث عنه، فهو ينتمي مثله إلى عالم القرية والريف المصري، وهو يعيش مثله واقع الفلاح المصري المظلوم والمضطهد، ويصغي إلى اناته وشكاواه، ويدرك اسباب معاناته والاغلال التي تقيده في القهر والجهل والتخلف. كما وجد فيه أيضا ذلك الجدل الفائز بين الانتماء إلى شجرة الشعر العربي من ناحية، والاندفاع في التجديد والمغامرة والاختلاف من ناحية اخرى. وكان طبيعيا أن يتسلل المعجم الشعري لمحمود حسن إسماعيل، عالم صوره وتراكيبه وابنيته اللغوية إلى بعض قصائد الأولى لعبد العليم عيسى، يقول في قصيدته «تقولي نسيت» من ديوانه الأول «الحان ملتهبة» (١٩٥٤):

صرخ الناي في يدي فتعالى
قبل ان تنهب الليالي لحونه

ويح قلبي اذا غضبت عليه
وتجاهلت صوته وانينه

اسعديه على الحياة وردي
نغماتي إلى حياتي الحزينة

ورحل عبدالعليم عيسى

بلا صخب ولا ضجيج انسحب عبد العليم عيسى من حياتنا كما عاش فيها بعيدا عن زيف الاضواء وحماقات البشر وتوحش الحياة الثقافية.. ومع رحيله يفقد الشعر واحدا من فرسانه الأوفياء.. ويفقد اصدقاء وتلاميذ عبد العليم عيسى قلبا كبيرا لم يعرف الحقد طريقا إليه.. عاش عبد العليم عيسى كما اراد وكما احب ولم يترك فى الحياة ذرية ولا ولدا وبقى منه شعره الجميل بكل مايحمله من جوانب الأصالة والتفرد..

منذ شهور اصدر عبد العليم عيسى دواوينه الخمسة فى طبعة شملت اول اعماله وهو ديوان «الحان ملتهبة» والذى اصدره فى عام ٥١ وديوانه «ولهذا انا احيا.. ثم للحياة اغنى وبعض نفسى.. ومسافر بلا زاد».. وعبد العليم عيسى واحد من مدرسة الأصالة الشعرية وهو بحكم تاريخه وتكوينه الثقافى عاشق من عشاق اللغة العربية العريقة.. فقد تخرج فى كلية اللغة العربية عام ١٩٤٣ وقضى معظم حياته راهبا فى رحابها.. مدرسا للغة العربية فى مدارس مصر ثم موجها لها وقد شملت قائمة تلاميذه اعدادا كبيرة من ابناء مصر فى مواقع مختلفة.وكان شاعرنا مخلصا لابعد الحدود للقصيدة التقليدية باوزانها الخليلية وعبق رصانتها ونسيجها اللغوى الجميل.. وكانت له محاولات مع قصيدة التفعيلة ولكنه ظل وفيا للتراث فى كل الحالات..

وعبد العليم عيسى فارس من فرسان الشعر الذين كتبوا الشعر وعايشوه تعليما وتدريسا وإبداعا.. انه فرع فى شجرة عريقة كان منها الجارم وطاهر ابو فاشا ومخيمر والصيرفى وغنيم ومحرم والتهامى.. هذه الشجرة العتيقة التى قدمت للشعر العربى جزءا عزيزا من إبداعه الخصب الجميل.

ومع رحيل عبد العليم عيسى يسقط فرع اصيل من فروع هذه الشجرة العريقة.. وبجانب هذا كان شاعرنا الراحل مدافعا جسورا عن حصون لغتنا العربية ضد محاولات التشويه والتعتيم والتلوث .. ولقد تخرجت على يديه اجيال كثيرة من المدرسين وعشاق اللغة العربية وعلى المستوى الانسانى عاش عبد العليم عيسى الشعر فى حياته كإنسان.. كان شفافا رقيقا مجاملا ولم يعرف عداوات المثقفين ولا توحشهم وكان وفيا لاصدقائه الى ابعد الحدود.. ولهذا عانى كثيرا بعد رحيل اقرب الاصدقاء إلى



عبدالعليم عيسى

قلبه وهما طاهر ابو فاشا والفنان سيد مكاوى، وبين طاهر ابو فاشا وعبد العليم عيسى رحلة ود وصداقة وعمل.. فهما ابناء محافظة واحدة هى دمياط.. وعملا معا بالتدريس.. وكان الشعر رسالتهما الاولى وصديقهما الدائم.. وعندما مات طاهر ابو فاشا فقد عبد العليم عيسى واحدا من اقرب رفاق رحلته إلى قلبه. وكانت صدمته الثانية عندما رحل الفنان سيد مكاوى رحمهم الله جميعا..

ولقد عرفت عبد العليم عيسى سنوات طويلة تجاوزت العشرين عاما احببته شاعرا وإنسانا.. كان من حراس القصيدة الاصيلة ومن فرسانها الكبار.. وكان وفيا لكل ما احب..وفى هدوء عانى فى الاشهر الاخيرة متاعب صحية كثيرة حتى رحل فى صمت..

ويبقى من عبد العليم عيسى الشعر الجميل.. والروح الصافية.. ومئات التلاميذ الذين تعلموا على يديه وينتشرون الآن كالنجوم فى سماء حياتنا الثقافية والفكرية عشاقا اولياء لكل ماهو اصيل ومترفع فى الفكر والسلوك..

وتفقد مدرسة الأصالة الشعرية واحدا من فرسانها الكبار الذين احبوا لغتنا الجميلة ومنحوها عمرهم بكل السخاء.

فاروق جويدة

كنت أعلم أنني حين تركت عالمك لم يعد يحتاجني أو بعد
لم يحتاجني إلا بقدر.. عالم رأيت فيه كل شيء مظلم وبدت
خطواتي فيه غريبة وحرجة ومتثاقلة
بدت تحركاتك تحت الأضواء .. لتقصر المسافات بين لحظة
إعجابي بك .. موائد الشراب لقاءات الأسبوع المكررة
وكأنها بعيد عن هذا العالم ما يشبه أو ما يسمح بوجودي.
وما بين وجودي وحبلاً على المسافة بيني وبينك .. وصرت تحاول
تفسير هذا الوجود الضعيف الخفي .. لا أدري لماذا سميت
به .. فأنت تعرف أنك أصبحت رجلاً مختلفاً
وأنه حتى أستسلم .. منتظرة في لحظة .. وأصبحت صار ...
اللحظة إذا زوجت وأنت ألتقاني .. صار شيء ملازم
بالأمس لك مثله ينبع الماء لحوض ينتظر
أمتد فيه بلا مياه ما شعرت به ...
والله صرت مثله مهزومة تنزع التاج عن رأسها
وأنت السلطان على بيتها .. وجدت إنما تنازل عن مملكتي
وتفاصيل
عندما زرت الكرمة بالأمس .. وجدت عيناي .. صدقني كنت
أكتب لك .. عن هذا الطيب الطاهر العذب الذي تلقاني
وأحتواني بشوق وحنو وأغرق عيني بدمعه ربما
لهذا الصمت الذي يقاسمني الآن لأني صرت وحدي

خطاب من حبيبته لم تكتب اسمها إلا رمزاً (زائرة الكرمة)

الخطاب يقطر بالحب.. واللوم.. والحسرة.. وحساب النفس للنفس.. وعتاب القلب للقلب.. والوداع المفعم بالكرامة.

وقد اخترت هذه الحالة العاطفية من حالات كُــثر أحببنــه فيــها حبيبــات مختلفات المشارب.. لطلاوة وحلاوة وعذوبة أسلوب تلك الحبيبة التى أنشر خطابها غفلاً من اسمها بعد ما يقرب من خمسين عاماً.. فهل تلومونى ؟!!

خاتمة البحث

بعد هذه الدراسة لشعر عبد العليم أستطيع أن أقول :

إن عبد العليم في الطليعة من شعراء عصره ، رسم شخصيته في شعره بملامحها العاطفية وقسماتها العقلية وأحاسيسها الوجدانية ، وهو معتد بنفسه فابتعد بها عن الدنايا والصغائر وترفع عن التزلف والنفاق والتملق لذلك يعد من الشخصيات المثالية التي تعلو بمشاعرها إلى السماء وترتفع إلى مصاف النبلاء .

وقد أظهرت هذه الدراسة عدة أمور منها :

١ ـ رسمت صورة لحياة عبد العليم وبيئته من خلال الحديث عن مولده ونشأته وتعليمه ووظائفه وثقافته وأهم المؤثرات فيها ، وشاعريته ومثيراتها ونشاطه ونتاجه الأدبيين .

٢ ـ أوضحت أن الشاعر قد شدا بالشعر منذ صباه وظل قلبه ينبض بالشعر ولسانه يغرد به إلى الآن .

٣ ـ أوضحت استعداد عبد العليم لصياغة الشعر في أي غرض من الأغراض القديمة أو الجديدة صياغة جميلة مؤثرة لصدق تجاربه وسمو عاطفته ورقة إحساسه .

٤ ـ أظهرت حبه للتأمل والتفكر وميله إليهما وذلك واضح من خلال حديثنا عن شعر التأمل عنده الذي قسمناه إلى ثلاثة عناصر ، الأول : عنصر الحيرة والشعور بالعجز ، والثاني شعر الموت والحياة ، والثالث شعر الحكمة المتفرق في ثنايا شعره ، وأوضحت أيضا أن لهذا الشعر جذورا في شعرنا العربي القديم .

صفحة من رسالة الماجستير (عبد العليم عيسى شاعراً) التى نال بها الدرجة الطالب أحمد أحمد جاد محسن.. كلية اللغة العربية- جامعة الأزهر عام ١٩٩٠م

المنيل ٢٧ / ١٢ / ٧٥

عزيزي الأستاذ عبد الحليم

أتمنى من قلبي أن تكون بصحة جيدة وفي سعادة وهناء..

انتظرنا حضورك أكثر من مرة.. ويظهر أنه هناك ظروف حالت بين حضورك..

وقالت لنا نعمات وكان عندنا آخر مرة أنك سوف تحضر يوم الخميس.. وتعود إلى

القاهرة في نفس اليوم حتى لا تتركها وحدها في الشقة.. ورغم أننا جميعاً نشعر

بأن مجيئك المتعب ورؤيتك والتمتع بأحاديثك معنا.. والاطمئنان على صحتك.. إلا أنني

أقول أنه لا داعي لحضورك هذه الأيام وسأكتفي بالتليفون لأطمئنكم على بابا

لأن الجو بارد في البلد وخطر عليك.. وطبعاً القاهرة على عكس ذلك.. كما قد يسبب

لك متاعب صحية.. وخاصة من ناحية المعدة فقد يظهرها البرد.. مع الأولاد.. لأنه

أصبح من الطبيعي كلما جئت لعندنا حرمت من النوم والطعام.. وتعود للقاهرة شبه

مريض.. لذلك سأحضر أنا الأسبوع القادم وأطمئنك على بابا.. وأدلل لأولادك.

حتى يتحسن الجو فتحضر وأنت مطمئن..

أما من ناحية بابا فقد تحسن كثيراً عن ذي قبل.. وإذا حدث أي تغير سوف أتصل بك.

أخي العزيز..

لعل صحتك جيدة.. ولم تعد تشكو من المعدة.. كذلك أتمنى أن تكون نعمات رعتك

لعنايتك من ناحية الطعام والنوم والسهر.. وقد تكلمت مع أحد الأطباء عند بابا

عن موضوع المعدة فقال أن كثرة التدخين عامل من عوامل ظهورها والإقلال من

التدخين يقلل [illegible].. وقد يكون هذا صحيح.. أنا لم أعد أعرف أي شيء يقال الآن!!

والشكر هنا لجهودك [illegible] وخاصة [illegible]..

وفي ختام رسالتي لك مني أطيب أمنياتي بالصحة والسعادة.

وسلامي إلى نعمات وأرجو أن تتذكرني جيداً..

ابتسام

خطاب من ابنة العم.. يحمل الدفء العائلي.. والحميمية..

والاهتمام.. بشاعرهم.. الأستاذ..



هذه القصاصة.. الشظية..

إذا كان شاعرنا قد احتفظ بها رغم سذاجة الورقة شكلاً.. فإن ما تحمله من (منطق) بداخلها قد لمس المنطقة العذراء في نفسه.. تلك المنطقة التي كان الله موجوداً بها على الدوام..

الصديقان للنشر والإعلان
٧ ش زين العابدين- محرم بك- الإسكندرية
ت: ٠١٢٢٣٦٨١٣٤١

بخجل شديد قدمت له - فى الحفل الأول لتأبينه- ديوانا من الشعر العامى (الناى الحزين).. نادماً لأن قريحتى لم تسعفنى بما يملأ هذا الديوان بالشعر الفصيح.. عالمه الأثير.. وميدانه الرحب.. ولأنى أصبحت- دون قصد منى- الشاطئ الذى قذفت أمواج الحياة بكل أوراقه على رماله.. إذ أدعى أننى أحسنت تجميعها وترتيبها والتمعن فيها.. فقد راق لى ألا أؤثر نفسى بتلك الثروة التاريخية التى تحمل سيرة ذلك الانسان الشاعر الجميل.. فاتفقت مع نفسى التى تحبه أيما حب.. وتعزه أيما إعزاز أن أقبض كل عام قبضة من هذه الأوراق أنثرها لكم عطرًا عبقًا.. نتذكر بها هذا الرجل ونتعجب لحلاوة ومتعة وعذاب الزمن الجميل الذى عاشه.. إنها نفحة هذا العام التى ليس لى فيها إلا فضل التقاطها من ثمار حقله الشاسع المهيب.

أحمد ماضى

الصديقان للنشر والإعلان